فطرة القرآن الالهية الانسانية

نظرة جديدة في تاريخ و جغرافية معرفة القرآن و الدراسات القرآنية

موسسه فرهنگی هنری کانون نشر و ترویج زبان قرآن

تأليف

الدكتور محمدعلي لساني فشاركي

تعريب

الدكتور ستّار عودي

نسخهٔ الکترونیک کتاب جهت مطالعه در اختیار علاقه‌مندان قرار داده شده است. جهت تهیه نسخهٔ سخت کتاب می‌توانید با کانون زبان قرآن تماس بگیرید.

تم توفير نسخة إلكترونية من الكتاب للمهتمين بالقراءة. وللحصول على نسخة مطبوعة من الكتاب يمكنكم التواصل مع مركز نشر و أشاعة لغة القرآن.

منش الٰهی انسانی قرآن (نگاهی نو در تاریخ و جغرافیای قرآن‌شناسی و مطالعات قرآنی)

پدیدآورنده: دکتر محمّدعلی لسانی فشارکی

ترجمه: دکتر ستّار عودی

همکاری فنّی و نشر: کانون زبان قرآن (وابسته به مؤسسهٔ فرهنگی هنری کانون نشر و ترویج زبان قرآن)

حروف‌نگاری: زینب رحیم‌بروجردی

صفحه‌آرایی و تنظیم ارجاعات: محمّدصادق حامدی

شمارگان: ۵۰۰ نسخه

نوبت و تاریخ چاپ: اوّل - ۱۴۰۲

تعداد صفحه و قطع: رقعی، ۶۹ ص

شابک: ۹۷۸-۶۲۲-۹۱۲۰۴-۹-۱

تهران، خیابان آزادی، خیابان خوش شمالی، کوچهٔ شهید عبّاس زارع، پلاک ۸۱ (ساختمان کرامت)

+۹۸-۹۹۱-۱۱۴-۴۰۱۷ ، +۹۸-۲۱۶۶۹۳۶۴۸۷ ، +۹۸-۲۱۶۶۹۴۹۶۵۹

https://quranlsn.ir

استفاده از این کتاب برای کلیهٔ علاقه‌مندان در سرتاسر جهان آزاد می‌باشد.

فطرة القرآن الالهية الانسانية

نظرة جديدة في تاريخ و جغرافية معرفة القرآن و الدراسات القرآنية

تأليف: الدكتور محمّدعلي لساني فشاركي

تعريب: الدكتور ستّار عودي

النشر و التعاون الفني مع مؤسسة مركز نشر و أشاعة لغة القرآن الثقافية الفنية

تدوين الحروف: زينب رحيم بروجردي

تنضيد و تنظيم الارجاعات : محمّدصادق حامدي

عدد النسخ: ٥٠٠ نسخة

الطبعة و تاريخها: الاولى، ٢٠٢٥

عدد الصفحات و نوعه: رقعي، ٦٩ ص

ISBN: ٩٧٨-٦٢٢-٩١٢٠٤-٩-١

طهران، شارع آزادي، شارع خوش الشمالي، زقاق الشهيد عباس زارع، رقم ١٨ (بناية كرامت)

+98-2166949659 ، +98-2166936487 ، +98-9911144017

https://quranlsn.ir

بامكان جميع الراغبين في شتى أنحاء العالم الاستفادة بحرية من هذا الكتاب

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين. اياك نعبد و اياك نستعين. اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم و لا الضالين.

منذ أمد بعيد، كان بين مجموعة العلوم القرآنية و الى جانب الفروع الدراسية و التعليمية و البحثية لهذه المجموعة من العلوم، مثل علم المحكم و المتشابه، علم اسباب النزول، علم الناسخ و المنسوخ، علم القرآءات و علم رسم المصحف، شعور بالخلأ إزاء فقدان نزعة و اتجاه تعليمي و بحثي و دراسي معين و معرّف و شامل بعنوان «معرفة القرآن» و يمكن القول أن هذا الخلأ لايزال قائما حتى لو فرضنا

بشتى انواع التبريرات و مختلف الايضاحات أن هناك في الموسوعات الشاملة نسبياً مثل البرهان للزركشي و الاتقان للسيوطي توجد في الواقع بشكل او بآخر بابا يتطرق لمختلف العلوم القرآنية كعلم القرآن، علم معرفة القرآن او ما شابه ذلـك، الا أنه من المسلّم به، أن بين مواضيع هذا الباب في العلوم القرآنية يلاحظ قطعا الافتقار الى بحث حول موضوع «فطرة» النص القرآني و الشعور بأنه كان و لايزال قائماً لحد الآن، و كذلــك يظل هذا السؤال بانتظار أجابة شافية و كافية و هو هل أن طبيعة و فطرة النص القرآني الهي و عرشي و سماوي، ام أرضي و بشري و أنساني؟

بنزعة واقعية ، يجب أن نقول أن هذا البحث مصيري جداً و مؤثر فاعل في حقل دراسات معرفة القرآن و في مضمار التعاليم و البحوث الواسعة للعلوم القرآنية، و في نفس الوقت كان بحثا قديما و دائما و محط جدل في كل مكان، و في نفس الوقت ظل مغفولا عنه. بالطبع المقصود، هو بقاء مركز الثقل و «نص» هذا البحث مغفولا، ذلـك ان تاريخ العلوم الاسلامية شاهد على أنه و للاسف هناك على أقل تقدير هامشتين بالطبع غير محكمتين تماما و غير مطلوبتين الى حد ما لهذا البحث كان دوما فعالاً جداً. احدى الهامشتين من هذا الجانب، صاغوها بعناوين العَلَم المختلفة و الرايات المتنوعة و حول «ماهية القرآن الالهية» دوّنوا مئات «التاكيد على التاكيد».

هذه الزمرة، في الواقع لم تكن بعيدة الشبه من ذلـك الشخص

الذي طبقا للمثل المشهور بادر بكل قوة و قدرة و رغبة و فاعلية، بصب كمية من الماء في الهاون الحجري و أنهمك بكل جدية بدقه و طحنه.في حين أن الماء بعد ٨۴ ساعة و ربما اكثر من ذلك دقه في الهاون لن يطرا عليه أي تغيير مما كان عليه في اللحظة الأولى.

هذه البحوث الهامشية ايضاً بالرغم من جاذبيتها الكثيرة و جذابيتها الشديدة، بدأت دوماً و على مدى تاريخ القرآن و تاريخ الاسلام، تماماً من حيث أنتهت، و تكرار تلك البحوث المتكررة لم يغير أي شي جدير بالاهتمام و لم يجب على أي استفسار بحثي.

«المنطوق الصحيح كلمتان» و «كلمة الحق لا رد عليه». **القرآن كلام الله**؛ حديث الرب. لا مجال هنا لأي حرف او كلام. الجدير بالاهتمام و التنبه و التذكير هو أن في هذا المناخ الصاخب على إثر طرح و شرح انواع المواضيع المتعلقة بان القرآن هو كلام الله يلاحظ دوماً أن جوهر المسألة قد تم حذفه و إن أصل الموضوع قد أمسى في ظل المناقشات و ابداء وجهات النظر الشخصية و الأنانية الفردية او الجماعية و الطائفية.

ربما كان لمولانا جلال الدين البلخي الرومي عندما قال ذلك الكلام

الرصين: «كل شخص بظنه أمسى صديقا لي»[١] كان له نصف نظرة او نظرة تامة و كاملة على هذا الاستنتاج و الملخص الحاضر.

بعبارة أخرى، اعتبر هؤلاء المفكرون و العلماء الكبار و الفطاحل، احدى المبادى الثابتة و الصحيحة و القطعية أمر مسلّم و مفروغ منه و لجأوا الى الاحتماء به، و هو بالطبع من دواعي السعادة و الحبور، الا أنهم أفرطوا و أسرفوا و استزادوا من تفريع الفروع لدرجة كأنما هم أنفسهم أيضا ضاعوا في متاهات تلـك التشعبات، و ربما نسوا تماما منذ البداية ما هو أصلاً سبب دخولهم في هذه المناقشات.

الهامش الثاني من ذلـك الطرف الآخر ايضاً كان الى حد ما يحظي دوما بالدعاية، احياناً ساخن جداً و حيناً حار على الأقل ، لحد ربما لا يمكن القول أنه طوال قرن مثلا، حتى مؤقتاً لبضع سنين لم تفتر هذه المناقشات من حرارتها و رواجها السابقة. حتى يمكن القول أن في هذا الهامش كانت و لا تزال المناقشات نوعاً ما اكثر جاذبية و اكثر أقبالاً من قبل الزبائن. كأنما كان «للأنسان» ممتع و ملفت جداً حيث أن مثل هذه الظاهرة التي لا بديل و لا مثيل لها مثل «القرآن» في عالَم الخلقة ينسبه لنفسه و ينكر او يشكـك على الأقل في انتسابها لرب صاحب

---

١. هركسى از ظنّ خود شد يار من / از درون من نجست اسرار من
سرّ من از نالهٔ من دور نيست / ليک چشم و گوش را آن نور نيست
كل شخص بظنه أمسى صديقاً لي / لم يبحث في باطني عن أسراري
سري ليس ببعيد عن أنيني / ولكن العين والأذن ليست لهما ذلك النور
(المثنوِي المعنوي، الدفتر الاول)

القرآن بشكل ضمني او بصورة علنية.

من البديهي و واضح جداً لمثل هذا «البشر» المتبج المتباهي الذي يتحدث هراءاً و يدعي كثيراً و لا يمكنه أن يدعي أنه خالق السموات و الأرض؛ او خالق نفسه؛ او خالق شجرة او شُجيرة ورد، فأن جاذبية هذا النقاش لم ولن يخفت بريقه ابداً.

مما لابد منه و لا مناص، انه يجب هنا الاشارة الى اكبر و اكثر المناقشات تداولا و طرحاً في القرن الرابع عشر الهجري في مصر و سائر الاوساط و المراكز العلمية بالعالم الاسلامي، و لو باختصار، الا و هى قضيّة «كتاب العربية الاكبر» مع اولئـك الاساتذة الكبار و المفكرين المكافحين و المصلحين العظماء الداعمين لهذا المشروع او هذه النظرية العلمية و المقبولة تقريبا في كل مكان بمقياس واسع، الاقسام العلمية المعتبرة، الكليات و الجامعات الرزينة و العلماء و اصحاب وجهات النظر المشهورين. في حين أن هذا التعبير الملفت و الجذاب جداً كان يتضمن جلياً تناقضاً عظيماً، و المدهش كيف تم الركون اليه في كل مكان و قبوله!؟

ذلـك التناقض الواضح كان عبارة عن أنه اذا كان القرآن كتاباً عربياً فريداً و وحيداً و عديم النظير و البديل، و **كتاب العربية الكبير**، و كتاب لم يكن له مثيل منذ بدء تاريخ اللغة و الأدب العربي العريق و لامنافس له في العصر الحاضر و لن يكون له نظير في المستقبل أيضاً،

فكيف يدعي فوراً طراحو هذا العنوان و مصممو هذا الميثاق العلمي و الادبي و أصحاب هذه النظرية المتجذرة و الصاخبة، بكل صراحة أن كتاب العربية الاكبر، مجرد نتاج بشري محض فحسب و ليس هناك أي انتساب حصري و مباشر بينه و بين الله إطلاقاً!؟

هذه الجماعة، لا يعتقدون بان القرآن «قديم» بأيّ تعريف و بيان، و لا يرون أن القرآن «حادث» بشتى انواع التعريف و البيان لمعتقدي كون القرآن حادثاً. إن هذه الزمرة إفترقوا تماماً عن مسار المناقشات القديمة و العتيقة و ينفخون دوما في مزمار التناقض الذاتي الكبير و حديث الظهور، و تحت تاثير هذا المزمار المدوي و الطبول و الأبواق التي كانت و لا تزال تشيعها، تلقتها الاوساط و المجموعات العلمية و الأدبية لاسيما العلماء و الأفاضل بالقبول و يدعمونها!!

الجدير بالاهتمام و الملفت في هذا الهامش أيضاً أن صورة المسألة ممسوح تماماً؛ «**صورة المسألة**» التي يبتغي الكتاب الحاضر بحول الله و قدرته أن يطرحه بكل جد و استحقاق، مرفقاً بالرسم البيانى التفصيلى و الشامل و القيام باذن الله بطرحه و شرحه.

«صورة المسألة» عبارة عن «فطرة القرآن الالهية الأنسانية». أي نص ذلـك الهامشين الفاعلين و لكن غير راسخين، و عريقين الا أنه غير مطلوب و غير مصقول.

من الجانب الآخر، فان أفضل المناقشات أدت الى هذه النتيجة

حيث تم تنزيه الرب في غاية الذروة و الأتساع، ولكن كلما تم تنزيه و تقديس الله أكثر، ابتعد اكثر من الارض و الزمان و العالم و مكان حياة الأنسان. رب واحد كبير جداً جداً و مقدس و منزّه جداً جداً لا شأن له بشأن الانسان و بالمقابل فان «الانسان» أيضاً لاشأن له بمثل هذا الرب الذي سمى الى أرفع و أفضل ذروة العظمة و القدسية، و قبل بأنه يجب تمشية أموره بطرق أخرى و بأرباب آخرين و تسوية شؤونه المختلفة.

من هذا الجانب أيضاً، كان و لايزال الجميع منهمك بهيجاناتهم الأنسانية و في الواقع «البشرية» و حسب المقولة المعروفة ليس لديه الوقت ليحك رأسه. المناقشات داعية جداً للامواج و أن راكبي الامواج المحترفين دوما يتحركون من جانب الى آخر لتحقيق مطالبهم. حصيلة البحث في هذا الهامش ايضاً هو أن عالم البشرية الكبير و الصاخب قبل القرآن باعتباره ظاهرة بشرية ممتازه و أمسى مفتوناً به بشدة و مستعد بكل الأشكال أن يكون معه صباحاً و مساءاً، و ان يحترمه و يقدره و يضعه في المقدمة. و حتى يعبده!! عدا أنه غير مستعد اطلاقا اعتبار القرآن كتاب الله و كلام الله سبحانه.

لا يتوقع اكثر من مستوى من القرآن و بنفس ذلك المستوى الهابط من التعامل ايضا فانه سعيد و مقتنع تماماً و لا يشعر باي ضجر، و ليس من المنتظر ان يبادر القرآن بعمل اكثر ولا أبعد من ذلك. في هذا العصر ،بهذه التجهيزات، فان «الأنسان» بانٍ فرضه على أساس أنه من بعد مرحلة معينة، يبادر الى إدارة جميع شوؤنه في سائر الدروب

و الأزقة و المتاجر و الأسواق الكبيرة. إن قرآناً أفضل و ما فوق الذروة و عظيم جداً و بالحد الأسمى من المكانة، إلا أن ذلـك ما شأنه بالأنسان، و ما شأن الأنسان بذلـك!؟

طرح موضوع «**فطرة القرآن الالهية الأنسانية**» يسعى لانهاء كل هذه الغربة و الفرقة و العزلة و تعيين الفواصل التي لا تعوض و لا رجعة فيها، و بكلمة واحدة «التغريبة و المهجورية» القاسية. طرح دراسة هذا البحث قرآنى بالكامل و أن قضاياه المختلفة في هذا الكتاب من المقرر بأذن الله أن تتم عبر التحليل و التبيين و التلقين و التدوين، و بالطبع حصرياً في إطار بيان القرآن و باسلوب و بوجهة نظر قرآنية و دون أي خروج عن الأجواء القرآنية.

بسم الله الرحمن الرحيم. قل هو الله احد. الله الصمد. لم يلد و لم يولد. و لم يكن له كفوا احد. بسم الله الرحمن الرحيم. قل اعوذ برب الفلق. من شر ما خلق. و من شر غاسق اذا وقب. و من شر النفاثات في العقد. و من شر حاسد اذا حسد. بسم الله الرحمن الرحيم. قل اعوذ برب الناس. ملك الناس. اله الناس. من شر الوسواس الخناس. الذي يوسوس في صدور الناس. من الجنة و الناس.

طهران – ١٢ بهمن ١٤٠١، المطابق اول فبراير / شباط ٢٠٢٣

محمّدعلي لساني فشاركي

quranlsn17@gmail.com

فصل اوّل

نظرة على سورة ياسين قلب القرآن

مع الأخذ بعين الاعتبار هدف الدراسة و بغية الولوج بالدرس و بحث الموضوع بالفرضية البحثية «فطرة القرآن الالهية الانسانية» سنتطرق في المرحلة الأولى كنقطه انطلاق أولية للاجواء و التجهيزات و مناخ تحليل و بيان هذا الأمر في **قلب القرآن سورة ياسين**.

سورة ياسين تشمل على خمسة وحدات موضوعيه[1]. بداية ندخل الوحدة الموضوعية الأولى ، و من ثم نواصل مسارنا في الوحدة الموضوعية الثانية، و بعدها، نواصل بحثنا في الوحدات الموضوعية الرابعة و الخامسة على التوالي، و في النهاية ندخل في الوحدة

١. الوحدات الموضوعية (او«الركوعات») اصطلاحاً عبارة عن تقسيم آيات سور القرآن، من النازعات الى البقرة، طبقاً للتعليم المتواتر و الموضح و المؤثر للنبي الاكرم حيث تم الايضاح حولها بشكل مسهب و في جدول الاعلام مفصلاً في كتاب «روش تحقيق موضوعى در قرآن‌كريم» (اسلوب البحث الموضوعي في القرآن الكريم)؛ بستان الكتاب، الطبعة التاسعة؛ ص٦٠- ٦٩.

الموضوعية المركزية (الوحدة الثالثة)، و عملياً نصل بشكل ما الى نتيجة. بالطبع من هناك فصاعداً، يتبلور بحثنا، و مسار الدراسة و البحث يتواصل في سوره أخرى و تليها أخرى.

إن «**فطرة القرآن الالهية الأنسانية**» عنوان سهل ممتنع حيث أنه لأهل الدقة و النظر يعد في نفس الوقت بسيط و قليل الحجم في إطار تركيب وصفي مركب مبيناً أسئلة البحث الأصلية و الدليل للوصول الى اثبات و برهنة فرضيات البحث، حتى، اذا كان القصد من طرح البحث لايستلزم البت بالهوامش البعيدة و باسلوب ذات نزعة تفصيلية، يمكن القول، ان هذا العنوان ذو الكلمات الأربعة يشتمل أيضاً على المشروع الكامل للبحث.

في نهاية هذا البحث سنصل الى هذه النتيجة بأن **القران كلام الله بفطرة إنسانية، و كتاب الأنسان بفطرة إلهية.**

إن الآيات ١ الى ١٢ من سورة ياسين تقول:

بسم الله الرّحمن الرّحيم. يس ﴿١﴾ والقرآن الحكيم ﴿٢﴾ إنّک لمن المرسلين ﴿٣﴾ على صراط مستقيم ﴿٤﴾ تنزيل العزيز الرّحيم ﴿٥﴾ لتنذر قومًا ما أنذر آباؤهم فهم غافلون ﴿٦﴾ لقد حقّ القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون ﴿٧﴾ إنّا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحون ﴿٨﴾ وجعلنا من بين أيديهم سدًّا ومن خلفهم سدًّا فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴿٩﴾ وسواء

عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴿١٠﴾ إنّما تنذر من اتّبع الذّكر وخشى الرّحمن بالغيب فبشّره بمغفرة وأجر كريم ﴿١١﴾ إنّا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدّموا وآثارهم وكلّ شيء أحصيناه فى إمام مبين ﴿١٢﴾

نبدأ. الله هو الذي يتحدث. بأي كلمة و جملة يبدأ الكلام؟ **ياسين.** الكلام بشأن ياسين كثير لدرجة يصبح فيه ترجيح عدم التحدث حوله مرجحاً. من جانب آخر، نحن في الماضي من كل الكلام و الأحاديث بصدد **منطوق صائب واحد.** و هو أن الله بمجرد أن يبدأ الحديث يجعل الأنسان مخاطباً. و يمسي كلام الله «**محوره المخاطب**» لدرجة أن الفطرة الالهية لصاحب الكلام يمتزج بفطرة المخاطب. **الله يتحدث و طبعاً بلغة الأنسان.** الله حكيم و قرآنه حكيم أيضاً، و حكمة القرآن و هو كلام الله تقتضى أن تخطى بالتزامن كُلّاً من **الفطرة الالهية و الفطرة الأنسانية** بالتمام و الكمال[1].

عندما يكون مطروحا **لله العزيز الرحيم صاحب القرآن** أن يقوم بـــ«تنزيل» كلامه، و ينقله للأنسان بالحكمة، و يحمّله على أمواج

١. لب لباب كلام مولانا المتسم بالعمق و الحكمة: لما تتعامل مع الطفل، يجب عليك التحدث معه بلغة الطفل و تمنيه بالكشمش و الجوز و الفستق لتشجيعه للذهاب الى الكتّاب (المثنوي المعنوي، الدفتر الرابع)

چون كه با كودک سروكارت فتاد — هم زبان كودكى بايد گشاد
كه برو كُتّاب تا مرغت خرم — يا مويز و جوز و فستق آورم

الوحي و يقرّر في صلب الوجود الأنساني، باقتضاء عزّته و رحمتة، يخاطب الأنسان بعزّة و رحمة و يبدأ معه الحديث، بالضبط مثل حديث أنسانين فيما بينهما[١].

من الواضح تماماً دون القول أن «**سيّد المرسلين**» بصفته كإنسان منتخب و مصطفى و مجتبى و نور عين الله، يحظى قبل و أكثر من جميع الأُناس الآخرين باهتمام و عناية الله سبحانه. إلّا أن القرآن الحكيم ليس من المقرر إطلاقاً إن يتجاهل سائر البشر إزاء الاشعاع الساطع لنور الجمال المحمدي اللامع؛ بل بالعكس، فهو يأخذ متزامناً جميع الناس بعين الاعتبار: «**قل يا ايّها الناس إنّي رسول الله اليكم جميعاً...**»[٢].

إن الآيات ١٣ الى ٣٢ من سورة ياسين تقول:

واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون ﴿١٣﴾ إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذّبوهما فعزّزنا بثالث فقالوا إنّا إليكم مرسلون ﴿١٤﴾ قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرّحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون ﴿١٥﴾ قالوا ربّنا يعلم إنّا إليكم لمرسلون ﴿١٦﴾ وما علينا إلا البلاغ المبين ﴿١٧﴾ قالوا إنّا تطيّرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنّكم وليمسّنّكم منّا عذاب أليم ﴿١٨﴾ قالوا طائركم معكم أئن ذكّرتم بل أنتم قوم

---

١. اشارة الى حديث الامام الصادق صلوات الله عليه؛ **فكأنَّه يُخَاطِبُ إنسَاناً** راجع: الكافي، باب فضل حامل القرآن؛الطبعة الاسلامية، ص٦٠٣

٢. سورة الأعراف، الآيه ١٥٨

مسرفون ﴿١٩﴾ وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتّبعوا المرسلين ﴿٢٠﴾ اتّبعوا من لا يسألكم أجرًا وهم مهتدون ﴿٢١﴾ وما لى لا أعبد الّذى فطرنى وإليه ترجعون ﴿٢٢﴾ أأتّخذ من دونه آلهةً إن يردن الرّحمن بضرّ لا تغن عنّى شفاعتهم شيئًا ولا ينقذون ﴿٢٣﴾ إنّى إذًا لفى ضلال مبين ﴿٢٤﴾ إنّى آمنت بربّكم فاسمعون ﴿٢٥﴾ قيل ادخل الجنّة قال يا ليت قومى يعلمون ﴿٢٦﴾ بما غفر لى ربّى وجعلنى من المكرمين ﴿٢٧﴾ وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السّماء وما كنّا منزلين ﴿٢٨﴾ إن كانت إلا صيحةً واحدةً فإذا هم خامدون ﴿٢٩﴾ يا حسرةً على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ﴿٣٠﴾ ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنّهم إليهم لا يرجعون ﴿٣١﴾ وإن كلّ لمّا جميع لدينا محضرون ﴿٣٢﴾

عندما نخطو عدة خطوات الى الأَمام، في الوحدة الموضوعية الثانية لسورة ياسين نرى مشهدا حيث أن الله سبحانه يبعث نبيّين عزيزين الى فرعون مدعي الألوهية و أعوانه في البلاط و الى القوم البائس تحت سيطرة فرعون، كي عسى يهدوه و قومه الى ربهم. إن المشهد هو مشهد للتعامل الجاد بين الله و الأنسان، و لا مجال فيه

لأيّ نوع من «الهزل» و روايت القصص و الهراء التوافه و أمثال ذلـك.[١]

في مسار هذه الخطوات المعدودة، و قبل أن نصل الى هناك أيضاً، هناك مشهد رائع آخر على شريط الكلام الحي و الملهم للحياة لله سبحانه يسترعي الانتباه. إن الله العزيز الرحيم، أوكل النبي الاعظم و الرسول المكرم مهمة أنذار قوم هم و أباؤهم أيضا ظلوا محرومين من بركة وجود الانبياء و المنذرين و طوال عصر «الفتور» لم يتجه أي نبي و منذر نحو أبائهم و أجدادهم.

فطرة القرآن الالهية الانسانية، مما يستحق القرائة و السماع و الرؤية، كيف أن الله الرحمان الرحيم يتحدث بتعاطف حول هؤلاء الأناس غريبى الأطوار، و عديمي العزيمة و مخيبي الآمال؟! بلغة الخرسان، يريد ان يقول لأعز رسله صحيح أن ظاهر أغلب هؤلاء البشر محبط و مخيف؛ إلّا أن باطنهم الذي يراه و يأخذه الله صاحب هذا الكلام بعين الأعتبار، متباين و متفاوت جداً. في الآيات التالية ، «**ربّ محمّد**» يشجعه و هو النبي الخاتم بأنه يراقبه بشكل كامل و يضمن بانه الحائل دون أي مضايقة و إخلال مؤثر من جانبهم و إذا اقتضت الضرورة، فانه يشد أيديهم و أرجلهم و أعناقهم بالقيود و السلاسل اللامرئية.

طبقا لنص هذه الآيات الصريحة في قلب القرآن سورة ياسين، فان

١. «**انّه لقول الفصل. وما هو بالهزل**» سورة الاطارق، ١٣ و ١٤.

النبي الخاتم في ظل الحماية الالهية التامة. بالطبع أن تلك «الأغيار» ايضاً يجب ان يطلق لهم العنان الى حدّ ما ليعتقدوا أن لهم «الاختيار» و بالنتيجة لايحق لهم بتاتاً «إسناد» بؤسهم و تعاسة دنياهم و آخرتهم الى الله ؛ إختيار بسعتين ثنائيتين كاملتين: الايمان و الكفر، الهداية و الضلالة، السعادة و الشقاء.

بهذا النمط، فان **النبي الاكرم و المنذر الأعظم** أيضا، يطمأن لتقدم عمله في كلا الجانبين. الجانب الاول هو أن عدداً بارزاً و معروفاً من هذه المجموعة من آحاد «الناس» و مخاطبي الدعوة و الانذار لن يخضعوا قط لتأثير إنذاره و سيحاربونه بكل شراسة ولن يألوا جهداً في إبداء المعارضة و العداء له، حتى يصلوا الى النهاية المخزية التي إنتخبوها لانفسهم. الجانب الثاني أن من بين هذه العناصر العنيدة و اللدودة و التي لاتقبل المساومة، ستلمع على ضوء الانذار الولائي و النبوي للرسول الأعظم و يتحولوا الى أُناس لائقين و متقين يخافون الله و محبي الفضيلة و مظهر الرحمة و العزة و الحكمة الالهية و إن النبي بحضورهم و وجودهم الفاعل و المؤثر الى جانبه سينال جميع المكافآت لجميع مساعيه التي تعد في الظاهر دون جدوى[١].

هنا، الله المتكلم، بغية المزيد من ترسيم الموضوع في ذهن و

---

١. «**محمّد رسول الله والّذين معه أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم تراهم ركّعًا سجّدًا يبتغون فضلا من الله ورضوانًا سيماهم فى وجوههم من أثر السّجود ذلک مثلهم فى التّوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزّرّاع ليغيظ بهم الكفّار وعد الله الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات منهم مغفرةً وأجرًا عظيمًا**»، الآية ٢٩ و الأخيرة لسورة الفتح

قلب الأنسان المخاطب المفضل يقول حول نفسه: أنا أحيى الموتى، جميع أعمال و مساعي عبادي تحظى لدي بأهمية كبرى ، أكتب كل جزء بالتفصيل وبالشكل الذى لايتم التغافل عن تسجيل و ضبط واحصاء كل شي في الكتاب المبين .

الى أن نصل الى «ضرب المثل».

هنا، نتوقف قليلا و نسأل أنفسنا او نسأل المدّعين «**في الطرف الآخر من السوق**[١]» هل من المعقول أن نقول بأن الله سبحانه بالفطرة الالهية أن يضرب «مثلاً» في نص الكلام الالهي؟ نعرف أن «المثَل» في الوقت الذي ينطبق على الكثير من الوقائع الواقعه و التي تقع و يمكن لكل واحدة منها أن تعكس الواقع، إلا أنه ليس من اللازم لزوماً أن يكون قد وقع عينا او يقع فيما بعد. و الآن، هل من الممكن تصور، ناهيك عن التصديق بان الله الحكيم العزيز يتجه في نص القرآن الحكيم، في نص كلام الله الذي يصفه هو بهذا الوصف: «**و تمّت كلمتُ ربّك صدقاً و عدلاً لا مبّدل لكلماته و هو السميع العليم**[٢]» يتجه الى «ضرب المَثَل»؟

الجواب هو **أبداً!** هذا هو نفس الجواب و وجهة نظر أغلب أصحاب الرأي في العالم الاسلامي الذي جعلهم يقولون: لايمكن في نص كلام الله ان تطرح رواية لوقوع وقائع باي شكل و باي أسلوب و ليس لها

١. الرجوع الى، مقدمة هذا الكتاب، ص٨
٢. سورة الأنعام، الآية ١١٥

واقع خارجي بازاء واحدة لواحدة و متناظر و خارجى. عندما يروي الله، أن الأشخاص يجب أن يكونوا واقعيين (حقيقين)، الاماكن يجب أن تكون واقعية (حقيقية)؛ المحادثات يجب عينا أن تكون متبادلة بين أشخاص حقيقيين و واقعيين، كي يمكن درجه في نص كلام الله! لانه، لزاماً، في نص كلام الله حتماً و قطعاً كل كلمة لها معنى لغوي و موضوع له و يكون له معادله و لاغير.

كذلـك، هذا هو نفس «النظرة» التي جر معظم المفسرين العظام بذلـك الأتجاه ليدمجوا مجموعتين من الروايات المبتورة و المجهولة الحال و غير المتصلة و بحدود و حجم الحالات الحدسية و الاحتمالات و وضعها بمنتهي «الدقة» بدلاً من صفحة من نص سورة ياسين (قلب القرآن) و يشغلوا أذهان و أفكار المسلمين بتلـك الروايات الواهية و التي لا أساس لها، و يوصدوا طريق التأمل و التدبر على **اهل القرآن الاعزاء** صوب نص لوح مميز و مرموق من الواح **منشور القرآن الألاهي الأنساني في «نص القرآن المتين»** العديدة.

بغض النظر عن القول الصحيح و أن الحقيقة هي أن الله هو الله و **كلام الله هو كلام الله**، الا أن هذا لا يتنافى مع هذه الحقيقة الأخرى و هو أن كلام الله له فطرة ألاهية أنسانية و أن هذه **الفطرة الالهية الأنسانية** مصدر نشأة آثار مشهودة و واضحة و بالذات «إنسانية» في كلام الله يدهش بشكل خاص المفرطين في التنزيه الألاهي و الكلام الألاهي و يدفعهم الى «**الاستبعاد**» و لكن، هل بامكان «الاستبعاد» أن

يصمد أمام «الاستناد» و الاستدلال؟

بالطبع، يمكن الى حد ما إعطائهم الحق، لأنه، من جانب آخر، من المسلّم به، أن الحضور الفعّال للفطرة الالهية في كلام الله لها هذا التأثير عندما يتجه باحثاً عن «ضرب المثل» ، في مقام ضرب المثل ايضاً بالطبع يتسامى من مستوى ضرب الأمثال المتداولة و يتجه الى الذروة و يستخدم ضرب الامثال الفاخرة بحيث أن الكثير من المخاطبين يمسون مجذوبين و متيمين بجمال و متعددية جوانب ضرب المثل المذكور لدرجة ينسون أن الله صاحب القرآن يقول في بداية هذا الكلام: «**و اضرب لهم مَثَلاً**» و لم يقل أبداً إذكر لهم هذه «القصة» (إنتبهوا).

على كل حال، إذا تخلص مفسروا القرآن الكريم في يوم من الأيام بألطاف الله من «شرنقة» الروايات، و يهتموا بأسلوب بيان القرآن، هناك حالات عديدة، لاسيما تكرار تلـك العبارة بشبه قريب بالشبه الكامل و التكرار في سورتى القصص[1] و سورة ياسين، حول ذلـك الرجل الذي يأتي من الضواحي او الاطراف النائيه لمدينة مصر الكبرى، مع العديد من الحالات المماثلة في الأقوال و السلوك، سيتم أرشاد المفسرين الى التفسير الصحيح لهذه الآيات، و سوف يدركون أنه صحيح و بمحله «رسولان» (**اذ أرسلنا اليهم اثنين**) تطبيقه مع الحالة الفريدة التي هي من وجهة نظر القرآن (مع الأخذ بعين الاعتبار البحوث الموضوعية

١. سورة القصص، الآية ٢٠: «**وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إنّ الملأ يأتمرون بک ليقتلوک فاخرج إنّى لک من الناصحين**» .

المرتبطة بقصص القرآن) أن مثل هذه الظاهرة قد وقعت في جغرافية تاريخ الرسالة و النبوة. و من ثم يتبادر الى الذهن النبيّان الألاهيان القديران **موسى و هارون** و الملفت للأنتباه أن المشهد الرئيسي لضرب المثل يختص بشكل كبير بذلك الرجل المسعف و المعين و الذي لم يكن «رسولاً»، نعم، لا تندهشوا، **مؤمن آل فرعون**.

هذه «**الوضعية**» التي هي من ابرز رموز **فطرة القرآن الالهية الأنسانية**، تتكرر فى الحالات المماثلة المتعددة بشأن تخصيص الحد الأقصى للمشهد بذلك الشخص الثالث الذي ليس هو نبي و بالمصطلح ليس له منصب ، في سورتي مؤمن آل فرعون[١] و سورة ياسين[٢].

إن فرداً مجهولاً من دون اسم و علامة، حيث أن القرآن خلافاً للروايات يصر على بقاء «الاسم و العلامة» مجهولين، يتولى مشهد ضرب المثل مائة بالمائة و يتبيّن بكل وضوح أن هذا المقام السامي الرفيع في مقام «**الجندي المجهول**» قد حصل عليه من حيث دخوله معترك العمل و التنفيذ بكل أخلاص و نقاء، و تولى كل «العمل» بعيداً عن كونه صاحب منصب من عدمه او «يجب» او «لايجب» ، و لهذا «العمل» لم ينتظر أحداً و لاشيئاً، و لم يتردد في نفسه قط.

النصف الثاني من آيات هذا القسم من سورة ياسين، يعرّف هذا

---

١. سورة مؤمن، الايات ٢٨ الى ٣٣.

٢. في سورة ياسين، الاية ٢٨ تعبير «قومه» حيث أن ضميره يعود لهذه الرجل المجهول الهويه، ملفت جداً للانتباه (انتبهوا من جديد): «**و ما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء و ما كنا منزلين**».

«الرجل» بعنوان القدوة لمثل هذه المشاهد و الابطال غالبا مجهولاً في هذه المشاهد، و يطرح بصراحة تامة النهاية السعيدة لكل من يعمل هكذا في مقام عبودية الله و الجهاد في سبيل الله. و في الجانب الآخر ايضا، يعلن ببيان شامل و ما يليق بضرب المثل و بالاستفاده من الكلمه بل **المصطلح القرآنى** «الصَيحة» السنة الالهية فيما يتعلق بالاشخاص و الجماعات المعادية لله و الانسان و الطغاة و دعاة القدرة و السلطنة «**مرة واحدة وللأبد**».

العبارة الأخيرة لهذا القسم[١]- بلغتنا الفارسية الدارجة -يلخص مثل هذه الاوضاع و الأحوال بمثل هذه العبارة و التعبير و هي «**بالنسبة لنا كان أمر هيّن!**» بتصورهم، أيّ نار أضرموها! و نحن ايضا بمجرد «صيحة» واحدة فقط أخمدنا تلك النار مع مشعليها الى الأبد.

مع طي مسار «**تحليل المحتوى**» و تجربة المعارض المتعددة لبيان القرآن و أسلوب البيان القرآني نصل الى احدى الحالات الاكثر أثارة لتأييد و ضمان الكفاءة و القدرة على الحلّ و الاستجابة لما هي «**نظريّة**» **فطرة القرآن الالهية الانسانية.**

إنّ عبارة «**يا حسرةً على العباد**» منذ بداية نزول القرآن و حتى الآن كانت دوما معركة آراء أقترح البعض بسذاجة، أسهل الحلول و قالوا ان قائل القول في هذه العبارة محذوف و ان الله سبحانه قالها على

١. سورة ياسين، الاية ٢٩: «ان كانت الّا صيحة واحدةً فاذا هم خامدون».

لسان عباده «يا حسرةً على العباد» قبل أن يتدبروا و يتأملوا في كلمة «العباد» الذي يعادل «عبادي» في مواضع أخرى من القرآن. ناهيك عن هذا ، لم يأخذوا بعين الاعتبار التعيين و سيادة السياق.و الآية التالية: «**ألم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون...** » و الآية التالية «**و ان كُلٌ لمّا جميع لدينا مُحضَرون» و «احييناه...» و «أخرجنا...» و «جعلنا» و «فجّرنا»** في الآيات التالية.

السياق المتصل لهذه الآيات يبين بصراحة كاملة أن هذا النداء الأليم و هذا الآه الناري المؤلم لاسيما بتعبير مثل «ياحَسرةً» (واحسرتاه) الذي لايصدر ولا يولد إلّا من أعماق صدر متوهج لشخص مولع تماما، و بالقطع و اليقين صادر من جانب الله عَزّ وجَلَّ، الله الذي لايمكن لل «الحسرة» باي شكل من الأشكال النفوذ الى ذات السُبّوح و القدّوس، و هذا هو التناقض المشهود الموجود في هذه الحالات الكثيرة في نص القرآن حيث أوجد ذلك السفحين و الهامش المتضاد و المتباين الذي شرحناه في المقدمة و ان مدعيى كل واحد من ذلك السفحين و الهامش كان بمقدورهم أن يستشهدوا بالحالات العديدة من نص القرآن، على افكارهم و آراءهم.

الجواب الأول و الأخير هو نعم، **بضرس قاطع أن الله هو الذي يتكلم ولكن لا بفطرة إلهية مائة بالمائة، بل توأمان بفطرة إلهية و إنسانية، فطرة سماوية أرضية و إلاهية أنسانية**. عبارة «**يا حسرةً على العباد**» صادرة باليقين من جانب الله بهذه الصورة بالضبط، ولكن في

مضمار و أجواء القرآن و بلغة القرآن و بأسلوب بيان القرآن الكبير ذات **الفطرة الإلاهية الانسانية**، و يخضع بكل وضوح لتاثير الجانب الأنساني في فطرة و اسلوب هذا الكلام.

في هاتين الآيتين، صاحب القرآن يعطف كلامه للفحوى الاصلى و نداء ضرب المثل السابق و من جانب آخر يوصل هذا الكلام بالأقسام الرابع و الخامس التي هي بالضبط ماوراء خلفيات البحث الراهن في الأقسام الاول و الثاني راميا لبيان انه لما هي هكذا اسلوب حياة الانسان في هذا العالم، فان وضعه في الآخرة سيكون هكذا أيضا: «**و ان كلٌّ لمّا جميعٌ لدينا محضرون**».

في هذه العبارة، كلام الله ليس فقط كلام عن الوضع الحاضر، بل بشكل ما هو تبيان لاحوال الانسان بشكل دائم، بل و أبعد من ذلـك يحكي كلام عن القيامة، و عن احداث و وقائع بعد نفخ الصور الثاني:«**و نفخ في الصور فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون**» عند ذلـك جميع آحاد الناس يخرجون من «الاجداث» و يركضون و يزحفون أفواجا الواحدة تلو الأخرى في المسار المعين سلفاً، للوصول الى ربهم قياما و قعودا.

إن الآيات ٥١ الى ٦٧ من سورة ياسين هى:

ونفخ فى الصّور فإذا هم من الأجداث إلى ربّهم ينسلون ﴿٥١﴾ قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد

الرحمن وصدق المرسلون ﴿٥٢﴾ إن كانت إلا صيحةً واحدةً فإذا هم جميع لدينا محضرون ﴿٥٣﴾ فاليوم لا تظلم نفس شيئًا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون ﴿٥٤﴾ إنّ أصحاب الجنّة اليوم فى شغل فاكهون ﴿٥٥﴾ هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائک متّكئون ﴿٥٦﴾ لهم فيها فاكهة ولهم ما يدّعون ﴿٥٧﴾ سلام قولا من ربّ رحيم ﴿٥٨﴾ وامتازوا اليوم أيّها المجرمون ﴿٥٩﴾ ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشّيطان إنّه لكم عدوّ مبين ﴿٦٠﴾ وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ﴿٦١﴾ ولقد أضلّ منكم جبلا كثيرًا أفلم تكونوا تعقلون ﴿٦٢﴾ هذه جهنّم الّتى كنتم توعدون ﴿٦٣﴾ اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ﴿٦٤﴾ اليوم نختم على أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴿٦٥﴾ ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصّراط فأنّى يبصرون ﴿٦٦﴾ ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيًّا ولا يرجعون ﴿٦٧﴾

«ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربّهم ينسلون». هنا ايضا يجب أن نتأمل قليلا. ذلك لأنه ليس جائزاً قط أن نقوم نحن أيضاً مثل الكثير من الرواد في حقل تفسير القرآن، بدلا من تفسير معنى **المصطلح الاعجازي «الاجداث»** في قاموس القرآن نفسه، ان نقوم على

العكس لراحتنا بمراجعة أسوء مصدر و نمر بكل بساطة و سذاجة من بحر امواج الحكمة و المعرفة الراقية و التبيين المصيرى و الفاعل و المؤثر للقرآن؛ و نصبح مشمولين بانذار و تحذير الله سبحانه، الذي لعبرتنا «يعيب» سلوك اليهود و النصارى و تعاملهم مع الانبياء و الكتب السماوية و بشأن اليهود يقول: «**و نسوا حظّاً مما ذكّروا به**[١]» و حول النصارى يقول: «**فنسوا حظّاً مما ذكّروا به**[٢]» حيث رضوا بالحظ القليل و الاستفادة الشحة و قطرة من بحر، و بغية التمتع بالقليل من بحر الوحي الالهى اللامحدود نسوا و تناسوا جميع الأشياء الاخرى. مسار الخسران الذي يكرره القرآن بصراحة ثلاث مرات في الآية الواحدة بعنوان «**الضلالة**» حيث يذكره القرآن: «**و لا تتّبعوا اهواء قوم قد ضلّوا من قبل** و اضلّوا كثيرا و ضلّوا عن سواء السبيل[٣]».

على أية حال، تكون أحياناً إذهان هؤلاء المفسرين قد ملئتها مشاهدة المقبرة المتكررة و دفن الموتى و بالنتيجة دون أي ترديد او تأمّل، ناهيـك عن تحقيق موضوعي و تدبّر، يعتبرون «الاجداث» بمعنى «القبور» و ربما ، استدلوا به بعض آخر من ظواهر عبارات القرآن، مثل «**ثمّ أماته فأقبره**» و سائر مواقع حضور هذا المصطلح القرآني («**القبر**»)، بعيداً عن القاء نظرة موضوعية تجاهها، و استشهدوا بل بزعمهم «استندوا» بها أيضاً.

١. سورة المائدة، الآية ١٣
٢. سورة المائده، الآية ١٤
٣. سورة المائدة، الآية ٧٧

بلى، كما بيّن **العلامة الطباطبائي** لأول مرة في تاريخ تفسير القرآن بصراحة، أن القرآن عرّف عالم البرزخ بأنه «**عالم القبر**[١]» ، ولكن لا بالمعنى و المفهوم المبتذل الذي طرحه و يطرحه بعض آخر من المفسرين، بسذاجة و جسارة، حيث أن الأنسان منذ أن يموت و يوارى في رمسه لحين خروجه من القبر يوم القيامة، يمضي في حقبة سكوت و جمود و اللاوعي **و في هذه الحقبة ، الأنسان متوقف تماماً و يبقى فقط بانتظار قيام القيامة**، دون أن يكون له أي حركة او نمو او شكل من الحياة الأخروية (انتبهوا).

في القرآن الكريم الذي يؤكد بشكل كبير على «**الايمان بالآخرة**» و حتى «**اليقين بالآخرة**[٢]»، فان الاسم و العنوان الآخر لـ «**عالَم البرزخ**» هو نفس كلمة «**الآخرة**» المعروفة من أمد بعيد حيث في بيان و تبيين مدرسة القرآن «حياة الأنسان» تنقسم الى شطرين هما «الحياة الدنيا او النشأة الأولى او الحياة الأولى» و «**حياة الآخرة او حياة أخرى او النشأة الآخرة**» و هناك حوالي الفي (٢٠٠٠) آية قرآنية حول تبيين كيفية و ماهية «الآخرة كي يمهد للأنسان بشكل اكبر و أتم طريق «**الايمان**» و «**اليقين**» بالآخرة.

في بيان و تعبير القرآن «الآخرة» استمرار و ديمومة «الدنيا» و موت الأنسان عبارة عن «قنطرة» بين الدنيا و الآخرة. و طبقاً لنص

١. الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٣٤٩
٢. ابرزها جميعا «**و بالآخرة هم يوقنون**» سورة البقرة، الآية ٤

القرآن الكريم الصريح، فان جميع الناس «الأناس» فرداً فرداً و بتعبير القرآن «أَحَدُهم»، دون استثناء، يطلب، في تلـك الحالة و الوضعية التي تستحق الشفقة و عناية الله الرحيم و الرحمان، من الله «**ربّ ارجعون**[١]».

و الرد الدقيق و الحاضر و المناسب و اللائق لهذا الطلب يأتي أيضاً من جانب الله سبحانه بالقول: «كلّا»[٢] ابداً! يعني نحن عرفناك جيداً. بمجرد ما تعود الى الدنيا، ستكون أنت نفس ابن آدم السابق و الدنيا هي نفس تلـك الدنيا، و «ستعود حليمة الى عادتها القديمة».

هذا السؤال و الجواب و منذ ١٤ قرناً ينتهي هنا عند كلمة «كَلّا»، دون الاهتمام من وجهة مراعاة آداب إتّباع القرآن و مطابقاً لتعاليم «**يتلونه حقّ تلاوته**»[٣] و امتثالاً لنص «**فيتبعون أحسنه**»[٤] الى تتمة الآية

إن الله الرحمان الرحيم في رده على مخلوقه العزيز الأنسان[٥] الذي منذ بدء خلقه بيديه[٦] حظى بتكريمه، أجابه أجابة شاملة و رصينة و جامعة و مشيرة لجميع جوانب الموضوع بالقول: «**و من ورائهم برزخ الى يوم يُبعثون**»[٧]. يعني، أنّ طلبـك من ربـك هو مهلة و عودة مؤقتة

١. سورة المؤمنون، الآية ٩٩
٢. سورة المؤمنون، الآية ١٠٠
٣. سورة البقرة، الآية ١٢١
٤. سورة الزمر، الآية ١٨
٥. «**ولقد كرّمنا بني آدم**»، سورة الأسراء، الآيه ٧٠
٦. «... **ان تسجد لما خلقت بيَديّ**»، سورة صاد، الآية ٧٥
٧. سورة المؤمنون، الآية ١٠٠

و محدودة كي تبرز نفسك و تصل الى مدارج و مناصب تعتقد أنه كان بأمكانكالوصول اليها، إلا أني أُمهلك من الآن الى يوم القيامة «**الى يوم يبعثون**» و أضع تحت تصرفك كذلك جميع الامكانات اللازمة للتكامل و التعالي و النمو و رقيك.

نحن نزيل شتى أنواع الموانع و العقبات و القيود التي تدعيها أنت بأنه إذا لم تكن تلك العقبات، لبادرت الى كذا و كذا من «العمل الصالح» و لكنت قادرا" عليها، في الحالات التي نشخص بها أن إدعائك صادق و نقبل «تمنّاك»، نزيل آنذاك جميع الموانع التي هي في طريقك، هذا الانتقال من الدنيا الى الآخرة لهذا الغرض لندعمك و نحقق لك غاية مطلبك»[١].

نحن نحميك طوال الفترة الزمنية الطويلة جداً لموتك و إنتقالك من عالَم الدنيا الى عالَم الآخرة، و حتى تبعث إبان يوم القيامة، في عالَم البرزخ الواسع، في جميع الحالات التي تتمنّى أنت أن يتم تأئيدها، في كل واحدة منها نحن ندعمك و نسوقك الى الحد الذي تستوعبها «**امنياتک**» خطوة خطوة و مرحلة تلو مرحلة الى الامام[٢].

في آيات القرآن الكريم الضخمة و المتعددة فيما تتعلق بـ«الآخرة» هناك علائم كثيرة مطروحة حول التشابه و التنسيق بين

---

١. رغم أني أمسيت عجوزاً و كئيبا و عاجزاً / و لكني كلما تذكرت وجهك أصبحت شاباً أشكر الله الذي كلما طلبت منه شيئا / منّ الله به عليّ و حقق أمنيتي (**خواجه شمس الدين محمّد حافظ**)

٢. «**أم للانسان ما تمنّى. فللّه الآخرة و الاولى**»، سورة النجم ، الآيات ٢٤ و ٢٥.

الآخرة و الدنيا بحيث لايبقى أيّ ترديد بما يرتبط مع «**معرفة الآخرة**» كما أنه ليس هناك أيّ دليل لتأويل مثلاً «الظل» كدليل على حضور الشمس و «الشمس» كدليل على تواجد الليل و النهار في جنة الآخرة، بما هو «ظلّ العناية الالهية». او أن **فاكهة** الجنة و أنهارها الجارية و ساير الاوصاف الساحرة لاستضافة الله الرحيم و الرحمان لاهل الجنة نقوم بتأويلها واحدة تلو الأخرى، الى الحد الذي لا يبقى من «**الفردوس الأعلى**» و «**جنّة الخُلد**»[1] و الجنان الألاهية الموعودة ، شئ و لابد يجب أيضاً أن نقوم بتأويل جميع تلـك الآيات المتعلقة بالنار و الجحيم و عذاب جهنّم بالتمسـك بالتعاريف العرفانية و ألم الاشتياق و عذاب الفراق و أمثالها، و في النهاية نصل الى هذه النتيجة و هي أنه لا وجود عملياً لجهنم! كما أن الجنة أيضاً سوف لن يكون لها وجود بصورة جادة!؟!

على كل حال، نواصل موضوع دراستنا المحورية و الأساسية و هو «**فطرة القرآن الالهية الأنسانية**» في اجواء سورة ياسين المنورة و المليئة بالبركة.

«**و نُفخ في الصور**». الملفت للنظر جداً هو أن صاحب القرآن في نص كلام الله و الممزوج بكلام الرب، في كل مكان و بأي ذريعة، يفتح المجال ويمهد الأرضية للكلام الذي قيل و لم يقله الأنسان، حقاً أمر يستحق كل إنتباه و دقة . في هذه الآيات يخبر الله مسبقاً أن بني آدم

١. سوره الفرقان، الآية ١٥

عندما يخرجون من «**ألاجداث**» ليتجهوا صوب ربهم، ما هي الكلمات التي سينطقون بها. نعم، القرآن كلام الله، الا أن الله هو الذي أمسى الناطق باسم الأنسان في جميع أنحاء القرآن. هذا هو«**فطرة القرآن الالهية الانسانية**».

هنا، ربما هو أفضل مكان لطرح و شرح هذا الموضوع و هو أن الغرض من هذا العنوان ليس أبداً أن الله صاحب القرآن يتكلم بفطرة إلهية مائة بالمائة و من تلـك الأعالي و بشكل دقيق من فوق «الملأ الاعلى» حول الأنسان و حياة الأنسان و ماضي و حاضر الأنسان.

بيان الموضوع ، كما تم طرحه سابقاً بشكل ما، كالآتي حيث نظراً لتبيين الله سبحانه «الموسع» في القرآن حول «تنزيل» القرآن، فان الله أراد أن ينزل القرآن المجيد الحكيم العزيز المبين بكل عظمته لدى الله و الحفاظ على جميع أوصافه، بخصائصه «**أمّ الكتاب**»[١] و «**كتابٌ أُحكمت آياتُه**»[٢] من السماء الى الارض و يطبّقه على الأرض و ببركة نزول القرآن و بعد «تنزيل» مثل هذا القرآن، و بعد ظهور النبي الخاتم على الأرض و في آخر الزمان، و من ثم، يقوم **من مقر الأرض بتدبير أمور السماوات** و حتى يدبر «حمل العرش» الألاهي بواسطة نخبة من الناس الأرضيين[٣].

١. «**و انّه في أمّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم**»، سورة الزخرف، الآية ٤
٢. سورة هود، الآية ١
٣. «**الذين يحملون العرش و من حوله...**» ، سورة مؤمن، آيه٧

أوضح و أفصح من هذا، فيما يتعلق ببحثنا، هو أن القرآن بتدبير إلهي حكيم و في ضوء تجلّي الجامع الألاهي في القرآن في مسار «التنزيل»، اتخذ بشكل كامل طابع «**الفطرة الالهية الأنسانية**» و صاحب الكلام دون أن يكون قد اتخذ شريكاً، قرر «**نفسه**» بأرادته التحدث بفطرة الاهية و انسانية بصورة توأمان و مختلطة و منسوجة بشكل كامل.

الفطرة الالهية في تركيب هذا الكلام هو الفطرة الالهية المرافقة و المتسقة بشكل كامل مع الانسان و الفطرة الانسانية في تركيب هذا الكلام هو فطرة إنسان لائق لما هو خليفة الله و الحافظ على الامانة الالهية و المقبول بهذه العناوين في المحضر الألاهي.

مرة أخرى تلك «**الصيحة الواحدة**»، ذلك المصطلح القرآني الخاص، و تكرار العبارة السابقة في سورة ياسين: «**فاذا هم جميع لدينا محضرون**». هو أقوى دليل على أن في العبارة السابقة أيضا المراد و القصد بشكل اكبر هو الاخبار عن هذا المستقبل الذي لم يأت بعد للأنسان، هو نفس تكرار العبارة. صاحب كلام القرآن يؤكد من جديد هنا مرة أخرى على أن رب العالمين موالي للأنسان من كل ناحية و لا يسمح ان يتعرض الأنسان للظلم بأي شكل كان.

«**إنّ أصحاب الجنّة اليوم في شُغُلٍ فاكهون. هم و أزواجهم في**

ظلالٍ على الارائـك متّكئون. لهم فيها فاكهةٌ و لهم ما يدّعون»[١].

الان، إذا كنا منذ بدء هذا السعي و البحث بصدد العثور على «**شعار جامع**» و ملخص لما هو **فطرة القرآن الالهية الانسانية** فهو حاضر وجاهز ها هنا: «**سلام قولاً من ربٍّ رحيم**»[٢].

حقاً تستحق المشاهدة. بعد هذه الآية مباشرة يتجه الكلام صوب المجرمين[٣]، الا أن لحن الكلام لم يزل كذلـك عطوفاً مشفقاً و حميمياً و «انسانياً» و بالطبع أيضاً «الاهيّاً» بالتزامن.

«**ألَم أعهَد اليكم يا بني آدم...**»[٤] إن الله الرحيم بصدد إعادة هؤلاء «المجرمين» الى صوابهم. و يبرز لهم جهنم. و في نفس الوقت يذكرهم بأنكم فعلتم و أنتم تفعلون! نحن نجعلكم تشاهدون أنفسكم بأنفسكم. نحن كنا نستطيع و الآن أيضاً نستطيع أن نتعامل معكم بأساليب أُخرى، و لكن لا نفعل ذلـك.

إن الآيات ٦٨ الى ٨٣ من سورة ياسين تقول:

ومن نعمّره ننكّسه فى الخلق أفلا يعقلون ﴿٦٨﴾ وما علّمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين ﴿٦٩﴾ لينذر من كان حيّاً ويحقّ القول على الكافرين ﴿٧٠﴾ أولم يروا أنّا خلقنا

١. سورة ياسين، الآيات ٥٥ الى ٥٧
٢. سورة ياسين، الآية ٥٨
٣. «**و امتازوا اليوم ايّها المجرمون**»، سورة ياسين، الآية ٥٩
٤. سورة ياسين، الآية ٦٠

لهم ممّا عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون ﴿٧١﴾ وذلّلناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ﴿٧٢﴾ ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون ﴿٧٣﴾ واتّخذوا من دون اللّه آلهةً لعلّهم ينصرون ﴿٧٤﴾ لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون ﴿٧٥﴾ فلا يحزنک قولهم إنّا نعلم ما يسرّون وما يعلنون ﴿٧٦﴾ أولم ير الإنسان أنّا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴿٧٧﴾ وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم ﴿٧٨﴾ قل يحييها الّذى أنشأها أوّل مرّة وهو بكلّ خلق عليم ﴿٧٩﴾ الّذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون ﴿٨٠﴾ أوليس الّذى خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ﴿٨١﴾ إنّما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون ﴿٨٢﴾ فسبحان الّذى بيده ملكوت كلّ شىء وإليه ترجعون ﴿٨٣﴾

من هنا و فيما بعد، القسم الخامس لآيات سورة ياسين الى آخر السورة عودة شاملة الى القسم الأول من السورة. يعطف و يرجّع و يواصل و يفسر و يشرح تلـك العبارات و التعابير واحدة بواحدة كي يكون قد تمّ بيان و تبيين كل شيّ بأفضل شكل ممكن.

في بداية هذا القسم من سورة ياسين، يستفيد من الأسلوب القرآني «**إنّا انزلناه في ليلة القدر**» و حول النبي الخاتم محمّد المصطفى (ص)

يقول: **و مَن «نُعمّرهُ» «ننكّسهُ» في الخلق... ؛ و ما «علّمناهُ» الشعر و ما ينبغي «لهُ»**. هذا اسلوب قرآني و من **الصنائع الخاصة باللغة العربية المبينة** حيث عندما يكون مرجع الضمير معلوم و معين و مشخّص ، فانه لايتبع «الزام» إعادة الضمير الى المرجع السابق. يستفيد من «**قدرة**» اللغة و يُعرض «**عملاً**» لا مثيل له في أجواء «**لغة المعيار العربي**» دون حدوث أي خلل في تعامل المتكلّم مع المخاطب.

بعبارة أخرى و أبسط بكثير، من منظار معرفة السورة، فان مرجع هذه الضمائر الأربعة قيد البحث هو دون شك «ياسين» المخاطب «**إنّك لَمِن المرسلين**»؛ «**لتُنذر**» و «**ءانذرتَهم ام لم تُنذرهُم**». كما أن آية «**على صراطٍ مستقيم**» أيضاً في مطلع السورة بيان بل دليل و بيان سبب لـ «**و ما علّمناه الشعر**»، و ايضاح لسببية لماذا «لا ينبغي له».

«الحيّ» و «الحياة» و العيش تفسّر و تعرّف أيضاً في هذه العبارة: «**انّ الذين يخشون ربَّهم بالغيب**[1]». تشير بصراحة بانّ هؤلاء «الاحياء» يعيشون وسط اولئك «الموتى»! (انتبهوا بدقة).

بأشارة لطيفة قد جاء إيضاحها في الآيات الأولى من السورة، حيث يشير الى مُنذر آخر الزمان الكبير قائلاً «**إنّا نحنُ نُحيي الموتى**»[2]. أي أن «المنُذر» يجب و يقدر من «الاحياء». يجب و يقدر أن ينفخ في هؤلاء «الموتى» التنفّس بصورة مُنذرة و يستخرج من بين هؤلاء المحكومين

١. سورة تبارك، الآية ١٢
٢. سورة ياسين، الآية ١٢

بالكفر و السقوط و الموت الحتمي أُناساً نموذجيين و مسلمين يضرب بهم المثل كمعيار للايمان و الاسلام مثل حمزة سيّد الشهداء (انتبهوا بدقة). كثير الشبه بالعبارة التي خاطب الله به عيسى المسيح بالقول: «**و اذ تُخرج الموتى باذني**»[١].

«**لينذر من كان حيّاً و يحقّ القول على الكافرين**»[٢]. هؤلاء هم «اكثرهم» في الآيات الأولى من سورة ياسين. يجب غربلتهم. كي يصعد المؤمنون الى الأعلى و يبقى الكافرون في أسفل بوتقة المجتمع الجاهلي و يترسبون فيها، و يلقون المصير اللائق بشأنهم. في دنياهم مع كل تلـك المساعي و النضال و الجهود المريرة ، لم ينالوا مكسباً، و هذه أيضاً آخرتهم.

تكرار عبارة في نص السورة دليل للتفسير البنائي لتلـك السورة. إحدى مفاد سورة ياسين البارزة و المميزة تتكرر في «قلب» السورة و هي عبارة عن تبيين آفاق و التمددية الوسعة **لتعامل الله مع الأنسان.** هناك كان لدينا «**و ما عملتهُ ايديهم**» و هنا «**مما عملت ايدينا**». **تكرار «ايدي» بشكل واحد للانسان و الله ملفت للنظر أيضاً.**

الله و الأنسان يد بيد الآخر. كل «مكتسبات» البشر هو من عندنا و يجب ان يشكرونا لتلـك النِّعم؛ و كل ما هو «مكتسبنا»، هو للبشر ولهم، و الملفت أن البشر هم أيضاً يمسون على الفور «اصحاب» و

١. سورة المائدة، الآية ١١٠
٢. سورة ياسين، الآية ٧٠

مالكي مكتسباتنا. نحن أيضاً «**و هذا ما تمنّاه من الله!**» نذكّر سائر مخلوقاتنا كي يصبحوا تحت تصرف الأنسان بشكل كامل، و نذكّر الأنسان أيضاً أن يستفيد منهم بغية «الركوب» او «الاكل» و «منافع» و «مشارب»، و ليس لزوماً مطابق للشاكلة الذهنية العامة، ان يستدرك «المنافع» و ملئ «المشارب» و «القِرب» البحتة.

يصنع «الأنسان» بالمواد الخام التي هي من صنعنا المصانع و بصنع مكتسباتنا يقوم في الانحاء المختلفة بما هو «**ايجاد العمل**» و نحن «**و هذا ما تمنّاه من الله!!**» نقيّم و نقدّر عمله و لا «ننزعج» قط بل «نتباه» بشكل ما أيضاً بالقول ايها الناس، تعالوا انظروا! «**أوَلم يروا**»؟ تعالوا أنظروا ماذا «يخلقون» «مخلوقاتنا» ! بالطبع أيضاً حق القول هو «**افلا يشكرون**» . نحن لا نريد من عبادنا هؤلاء أي شيء ولسنا بحاجة اليهم ابداً عدا ألّا ينسوا ذكرنا و أن يقروا و يعلنوا أننا خلقنا اولئـك و هؤلاء لهم و أعددناها و وضعناها تحت تصرفهم؛ **ولكن كيف يتعامل الناس معنا!**

في مضمار إيضاح سوء السجايا و سوء الاخلاق و سوء السلوك لمخاطبي الانذار و دعوة النبي الخاتم، هذه الآيات نماذج لتوصيف و توضيح تعاملهم و أدائهم.

هؤلاء يذهبون، و يطرقون هذا الباب و ذاك، كي يخلقوا أرباباً مختلفة لأنفسهم، و ذلـك فقط من أجل أن يتمكنوا في كل مكان و

يعلنوا للجميع رسمياً أننا لا نعبد صاحب هذه النّعَم! أننا لسنا عباد الله الواحد الأحد! نحن لدينا لأنفسنا أربابا آخرين! و الآن، إذا كانت هذه الآلهة تعينهم على الأقل و تحلّ عقدة من أعمالهم، «لما كنا نتألم» و لما كنا ننادي «**ياحسرةً على العباد**». للأسف الأمر بالعكس. هؤلاء يجاهدون لخدمة تلكم الآلهة و يخضعون تماماً لخدمتهم، و يبذلون كل قدراتهم و امكاناتهم و مقدرات حياتهم لأولئـك الآلهة[١].

بعد ذلـك يخاطب «المنذر» الساعي المضحي و يطيّب خاطره و يسترضيه بالقول أنه لا يجب أبداً أن يحزنـك هذه التعاملات و السلوكيات الشائنة: «**فلايحزُنـك قولهُم انّا نعلم ما يسرّون و ما يُعلنون**»[٢].

كنّا قد قلنا لـك من قبل أننا أيسنا و قطعنا أملنا منهم و الآن، أنظر كم عانينا و رأينا و سمعنا منهم اكثر منـك و قبلـك! أنت معنا و نحن معـك. نحن نضمن أن هؤلاء بكل صخبهم و مزاعمهم لن يقوموا بإي أعاقة مصيرية في عملـك. هكذا عملنا و هكذا سوف نعمل. أنت وجّه اهتمامـك الكامل فقط صوب تلـك الثلة من المنتخبين «**يخشون ربّهم**» حيث أن أساس مهمتـك هو الإنذار و إحياءهم.

نموذج آخر في مجال تفصيل و تحليل إعتداءات و عراقيل «**الذين كفروا**» مخاطبي النبي اللدودين[٣]، تلـك القصة المشهورة لذلـكالرجل

---

١. «**و هم لهم جند محضرون**»، سورة ياسين، الآية ٧٥
٢. سورة ياسين، الآية ٧٦
٣. راجع. الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص٥٤

و بتعبير القرآن «**ذلـك الانسان**» (و هو يسترعي الانتباه جداً) الذي يستخرج عظاماً نخرة لأنسان من بين تراب المقبرة و يحملها في معرض هدفه قائلاً من يا ترى يستطيع أن يُحيي هذا العظم الآيل للتراب و الرماد (و يذرى في الرياح)؟!

كان بالامكان من المحتمل و المتوقع جدا أن الله سبحانه على إثر «طرح المسألة» و «ضرب المثل» في نص كلام الله باشارة قاطعة أن يدين هذا العرض ؛ كما أن عبارة «**خصيم مبين**» يمكن رؤيته من هذا المنظار، الا أن، المشهد الجميل لهذه الآيات في أواخر سورة ياسين، هو عرض جذّاب و الى حد ما غير متوقع من **فطرة القرآن الالهية الأنسانية** حيث أن مثل هذا الخصام يتابعه بتلـك التجانس و السلمية و بمنتهى الوديّة يوصي صاحب الكلام، الله سبحانه و تعالى، نبيه العزيز و المحبوب بالقول و إن كان هذا النمط من التعامل و طرح المسألة بهذا الشكل، عدائي جداً و غير معقول، إلا أنت أجبه بتعقل و شفقة و قل له: نفس الذي وهب نعمة الحياة لهذا العظم و صاحبه لأول مرة، و هو **الخّلاق العليم** قادر أن يمنحه نعمة الحياة مجدداً؛ فهو قادر و عالم بكل أنواع الخليقة. «**قل يحييها الذي أنشأها اوّل مرة و هو بكل خلق عليم**»[1].

كذلـك، صاحب الكلام، يطرح أيجاد النار من الشجر الأخضر و الرطب. كما، يطرح خلق السموات و الأرض حيث لا أحد يدَّعي تدخله

١. سورة ياسين، الآية ٧٩

في خلقها. «**فسبحان الذي بيده ملكوت كلّ شيءٍ و اليه ترجعون**»[١] يريد أن يقول: نحن بانتظار عودتكم جميعا من سفركم العلمي البحثي في الدنيا: «**و ان كلٌّ لمّا جميعٌ لدينا محضرون**»[٢].

إن الآيات ٣٣ الى ٥٠ من سورة ياسين تقول:

وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبًّا فمنه يأكلون ﴿٣٣﴾ وجعلنا فيها جنّات من نخيل وأعناب وفجّرنا فيها من العيون ﴿٣٤﴾ ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ﴿٣٥﴾ سبحان الّذى خلق الأزواج كلّها ممّا تنبت الأرض ومن أنفسهم وممّا لا يعلمون ﴿٣٦﴾ وآية لهم اللّيل نسلخ منه النّهار فإذا هم مظلمون ﴿٣٧﴾ والشّمس تجرى لمستقرّ لها ذلک تقدير العزيز العليم ﴿٣٨﴾ والقمر قدّرناه منازل حتّى عاد كالعرجون القديم ﴿٣٩﴾ لا الشّمس ينبغى لها أن تدرک القمر ولا اللّيل سابق النّهار وكلّ فى فلک يسبحون ﴿٤٠﴾ وآية لهم أنّا حملنا ذرّيّتهم فى الفلک المشحون ﴿٤١﴾ وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ﴿٤٢﴾ وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون ﴿٤٣﴾ إلا رحمةً منّا ومتاعًا إلى حين ﴿٤٤﴾ وإذا قيل لهم اتّقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلّكم ترحمون ﴿٤٥﴾ وما تأتيهم من آية من آيات ربّهم إلا كانوا عنها معرضين ﴿٤٦﴾ وإذا

١. سورة ياسين، الآية ٨٣ و الاخيرة
٢. سورة ياسين، الآية ٣٢

قيل لهم أنفقوا ممّا رزقكم الله قال الّذين كفروا للّذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا فى ضلال مبين ﴿٤٧﴾ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴿٤٨﴾ ما ينظرون إلا صيحةً واحدةً تأخذهم وهم يخصّمون ﴿٤٩﴾ فلا يستطيعون توصيةً ولا إلى أهلهم يرجعون ﴿٥٠﴾

في نهاية المطاف، و في آخر سعي و بحث في أجواء **سورة ياسين قلب القرآن** المشحونة بالبركة، نتجه صوب قلب السورة، أي الوحدة الموضوعية الثالثة، كي نتمكن من منظار علم معرفة السورة، أن نستوعب نتائج و حصيلة فحوا نص السورة بشكل مباشر. لاننسى أن توجهنا و وجهتنا في هذا الاستقصاء و البحث هو مسالة البحث و دراستنا في هذا الكتاب أي نفس «**فطرة القرآن الالهية الانسانية**». سورة ياسين معرض عديم النظير للتعامل الوثيق و يد بيد الآخر بين الله العزيز الرحيم الحكيم صاحب و مدبر المُلـك و الملكوت من جانب، و الأنسان الخصيم المبين من جانب آخر.

تعبير «**و آيةٌ**» في بداية عدة آيات تتكرر في هذه المجموعة. **و آية لهم الأرض الميتة؛ و آية لهم الليل، و آية لهم أنّا حملنا ذريتهم في الفُلـك المشحون**[1].

١. سورة ياسين، الآيات ٣٣، ٣٧، ٤١

يأتي الله العزيز الرحيم آية تلو الأخرى و إزاء جميع هذه الآيات يتخذ الأنسان موقف الاعراض و الاعتراض و لايقبل أي واحدة منها. الله خالق الأنسان، المربّي الدائم للأنسان، و المعلم الأول و الأخير للانسان، ينظر من جانب آخر، أن يطوي الأنسان كل تلـك المسالـك و المهالـك و يختبر جميع معتركات الحياة من حلوها و مرّها و في النهاية يعود الى ربه و يشكر دون أحصاء كل تلـكالنعم الالهية بالنسبة للأنسان. بالطبع، في الواقع و عملياً رب الأنسان دون أن ينتظر عودة الأنسان، يقدم كل تلـك النعم و المواهب للانسان العزيز لديه، و يكمل الأنسان دوماً بالأرشادات و الهداية الشاملة و يوضح و يبيّن له دقائق الغوامض المتعددة و الملتوية المتعلقة بعوالم الخلقة و السماء و الأرض والقمر و الشمس كما سيجد الانسان المزيد و المزيد على مرّ العصور والقرون بالمزيد والمزيد من البحث فى تلك الآيات البينات: «**ذلـك تقدير العزيز العليم**»[1].

يتحدث حول انواع تحضيرات و استعدادات الله في البر و البحر (مع اشارة و تلويح لطيف للجو و الريح) لحياة اكثر سعادة و أفضل. هو بحق يلوم بعض الناس لسلوكهم غير المنطقي و الذين لا ينتبهون لعوامل الهداية و الارشاد ودوماً في حالة الاعراض و الاعتراض.

يشير الى نموذجٍ لاستجداء الانسان الذي من منطلق العناد و النكاية و الضغينة و الاصرار على رفض الهداية الالهية، سلّموا عقولهم

١. سورة ياسين، آلآيه ٣٨

الى مبيدى الشرف و الفضيلة و الأنسانية، «**أحبار اليهود**»، و يتبعوا أفكارهم، نعم، **فطرة القرآن الالهية الأنسانية** تقتضى هنا طرح على الأقل نموذجاً لتلـك الأفكار السخيفة المعادية للانسان و المدمرة للعالم مع شرح و إيضاح كافٍ و بيان كيفية ذلـك.

«**و اذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذّين كفروا للّذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ان أنتم الّا في ضلال مبين**»[١]. في نهاية المطاف، يتطرق الى مشاهد ما قبل القيامة و كيفية الاحداث و مشاهد يوم القيامة و يفوض حبل الكلام الى آيات النصف الثاني أي الوحدات الموضوعية الرابعة و الخامسة للسورة، حيث تم شرح و تفصيل بعض مضامينها و فحواها باختصار.

من الواضح تماماً، و لكن يقتضى القول و من اللازم التذكير بأن الفحوى و المضامين التي أدركناها في سورة ياسين من ظواهر و تصريحات الآيات في مسار تبيين و تدوين مسألة البحث لهذا الكتاب «**فطرة القرآن الالهية الانسانية**»، لاتختص و لا تنحصر بسورة ياسين وحدها قط.

من الطبيعي و المتوقع جداً مثلما يضرب **في «قلب القرآن» نبضة بشكل «عظيم»**[٢]، ربما في نشأة و مبدء قلب القرآن هذا و هو سورة ياسين، يتم توزيع و «تنزيل» ذلـك الى القرآن برمته و الى جميع سور

١. سورة ياسين، الآية ٤٧

٢. «نبض عظيم» مصطلح في الطب الايراني الاسلامي التقليدي الفاخر و الخالد.

القرآن الكريم قصيرها بالظاهر او متوسطة الحجم او المطولة، مثل التوزيع الشامل و المدهش للدّم من قبل القلب الى جميع اعضاء و اجزاء و الجزيآت الفاعلة لجميع أنحاء جسم الأنسان.

ببيان و تعبير آخر، أن كتاب فطرة القرآن الالهية الانسانية، في نفس الوقت الذي يتم فيه العمل حسب الأس الاساس و الأصيل و قاعدة عظماء التعليم و التبليغ «**خير الكلام ما قلَّ و دلَّ**» و «**يجب قصر الكلام**»[١]و «**قلل الكلام و انتقِ تعابيرك**»[٢]، و بعيداً عن اي ادعاء «**التنظير**» و «**ترسيم المسارات**» و «**البحث الأساسي**»، بصدد القيام باذن الله بتوسيع آفاق العلم في جغرافية الدراسات القرآنية القيّمة و الاوساط العلمية و البحثية الاسلامية و غير الاسلامية في شتى أنحاء العالم، و يمهد الطريق اكثر فاكثر لما يسمى **الدراسات البنيوية و النمطية** عبر ترسيخ و تعزيز البحوث و الدراسات المتعلقه **بمعرفة السور**.

الجدير بالذكر؛ عندما تستخدم مصطلحات من قبيل الاطار و الاسلوب فيما يتعلق **بالقرآن المجيد، القرآن الكريم و القرآن الحكيم**، فانها ليست محددة بإطار و الألفاظ ابداً، بل حسب التعريف الشامل و الجامع و المانع «**لسان عربي مبين**» فان **البنى و الأجهزة و الأساليب و الانماط المعنوية و علم معرفة المعانى أيضاً، تحظى بالضبط في كل مكان و بشكل موسع بالانتباه و التاكيد.**

١. البسيط لايدرك حالة الخبير/ لذلك يجب قصر الكلام و السلام (**المثنوي المعنوي، الدفتر الاول**)
٢. قل القليل و انتخب اقوالك مثل الدُر/ كي يمتلأ العالم من قليل كلامک (**النظامي الكنجوي، ليلى و مجنون**)

الفصل الثاني

أفق القول في سورة تبارك الملك

من هنا فصاعداً، سنواصل السعي و الاستقصاء و البحث و دراستنا في سياق تحليل و تفصيل الموضوع المطروح في كتاب **فطرة القرآن الالهية القرآنية** في اجواء سورة «**تبارك الملك**» المفعمة بالبهجة و المليئة بالعلائم و الاسرار «**تبارك الذي بيده الملك و هو على كلّ شيءٍ قدير**»[1].

فطرة القرآن الالهية القرآنية. تأخذ بنظر الاعتبار دوماً الناحيتين بموازاة أحداهما الأخرى و يتبع ذلك في جميع أنحاء **نص القرآن السماوي الأرضي** بشكل يحق لأولئك الذين عرفوا القرآن بأنه «**كتاب التوحيد**» و أطلقوا مؤكدين هذا اللقب و العنوان على القرآن[2].يرعى حدود التوحيد مائة بالمائة، و لكن لا بقيمة أن يقذف الأنسان بنوع

١. سورة المُلك، الآية ١.

٢. العلامة الطباطبائي، الميزان، ج٣، ص٢٨٣ و مواضع متعددة أخرى.

ما الى جهة تحريض الأنسان الى «مواجهة» الرب و يوجب «**تحذير التوحيد**» «الفرقة» و الأنفصال .

فطرة القرآن الالهية الانسانية منذ البدء و حتى النهاية، دون سابق و لاحق يختص بالقرآن، لاثبات و تثبيت «المقام» الألاهي، ليس بحاجه قط الى التقليل و الخفض من مكانة و موقع الأنسان؛ ذلـك لأن في منطق القرآن، فان الأنسان بكل ما لديه و كل ما هو عليه ملـك الله، و أن الله يعتبر الأنسان، بكل معطياته الكثيرة له، منه و من ذاته، **و القرآن الكريم يعتبر تكريم الأنسان توأم و مرافق و مكمّل و مفِسّر لتسبيح الله.**

في منطق القرآن، مدح الأنسان لزوماً هو مدح الله، و أن الاداء الخشن و العنيف للأنسان أيضاً تطرح دون أي تستر و مجاملة و يتم تبيين مصدر تلـك الاضطرابات و الفوضى بوضوح، بشكل يتضح دون اي ترديد ان أوصاف الأنسان السلبية لا تمت بأي صلة بالله أبداً (لاحظوا بدقة).

مع الالتفات و الانتباه الى هذه المسألة الهامة بشأن المعرفة القرآنية، يقتضي التأكيد أن نقول مرة أخرى بأنه على أية حال و بأي شكل كان فأن **فطرة القرآن الالهية الانسانية** بمنزلة دعم الأنسان و حتى أن أسوء فرد ، هو انسان بحكم كونه «انسان» محل اهتمام و عناية و تكريم و تجليل الرب التواب و الرحيم، و أن الله سبحانه ينظر

دوماً الى الأنسان المنيب و العائذ بالله.

الجدير بالذكر، بغية مراعاة **فطرة القرآن الالهية الأنسانية** في كل مكان، يجب عدم غض النظر أبداً عن المحبة الخاصة و الاشتياق عديم النظير الألهي تجاه الأنسان و كونه «المكرّم» لدى الله و الذي يشمل جميع الناس بشكل مطلق، و الملفت اكثر للنظر، ارفاق تعبير «**بني آدم**» للانسان (لاحظوا بدقة).

هذا الاهتمام و التأكيد، في مجال و أجواء **كتاب و مدرسة فطرة القرآن الالهية الانسانية**، ضروري من حيث أن رأي المسلمين العام و أذهان المسلمين المتبلورة بعنوان مسألة و ظاهرة تاريخية و معروفة الى حد كبير بانها طبيعية، خاضعة للأسف من العالي الى الداني لتاثير الكتاب المقدس و لا سيما **أسفار تورات عهد العتيق «المزعوم» الخمسة**.

رب اليهود، رب الكتاب المقدس يعرب منذ بدء خلق الانسان رسمياً عن ندمه لخلق الانسان بعناوين مختلفة و يتخذ بشكل كامل موقفاً ازاء مخلوقه هذا و يطرح خصوصيته الاصلية بشكل حيث يسعى دوماً بحثاً عن «اثارت المعايب» و «ابتزاز» و استغلال نقطه ضعف الانسان، كي يتمكن من عرضه عليه و يقوم **بذرائع مختلفة للتعامل «العدائي» مع الانسان بتهيئة و «اعداد ملف» له** (انتبهوا اكثر).

فطرة القرآن الالهية الانسانية هي بالضبط في النقطة المقابلة

لمثل هذا الموقف بالنسبة للأنسان. هنا، عندما نرى ان الله سبحانه في بداية سورة المُلـك يتحدث عن الملكية و السيادة المطلقة و قيادة المُلـك و الملكوت في مقام التسبيح الألاهي، يجب أن ننتبه أن هذا البيان يشير الى جميع تلـك البيان و تبيين كلام الله فيما يتعلق بفاعلية الانسان الكاملة في مضمار المُلـك و الملكوت الألاهي في جميع أنحاء القرآن، و ان حصة الانسان في استقرار امور العالم مأخوذ بشكل كامل بعين الاعتبار و يعترف به رسمياً، كما أنه فى **سورة «المُلـك»** حيث لم ينتقل بعد من الآية الاولى الى سائر آيات السورة، يواصل بالقول هكذا «**الّذي خلق الموت و الحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً و هو العزيز الغفور**»[1].

اكبر علامة و سر خلق العالَم بل عوالم الخلقة الالهية يطرح بتعبير عديم المثال و عديم النظير: «... **بيده الملـك و هو على كلّ شيءٍ قدير**»[2] بالطبع مدمج بتعبير حول الانسان، مباشرةً في الآية التي تليها. الاكثر ملفت للانتباه من هذا هو الاعلام في هذه الآية الثانية بصراحة أن «الأنسان» هو الهدف و المقصود من خلق العالَم و رغبة الارادة الالهية بـ **خلق الموت و الحياة**.

جميع **الخليقة** وجدت لتمهيد الأرضية و المناخ لاختبار الأنسان و اعداده بغية نموه و تكامله. **القرآن هو القرآن**، و في سياق انتقاء

١. سورة الملك، الآية ٢
٢. سورة الملك، الآية الاولى

أسهل و أشمل تبيين واضح لهذه المسألة، تم أنتخاب تعبير نحن الآن في القرن الخامس عشر بصدد هذا التعبير: **خلق الموت قبل الحياة، ابداع الفناء قبل البقاء**، تعبير مليىء بالرموز و الأسرار و عديم النظير في الأيجاز و الأعجاز؛ تعبير هو معترك آراء الادباء والعلماء و حكماء العالم الاسلامي منذ الف و أربعمائة و بضع و أربعين سنة.

الجدير بالذكر، في **نظام القرآن الكريم الموضوعي**، تم بالتفصيل و بوضوح تام تبيين العلاقات و آليات تلاحم و ترابط الموت و الحياة، و حصيلة الأمر عبارة عن أن الحياة في هذا العالَم قرره الله خالق الكون على نمطين: النوع الاول، اسمه «الموت» و النوع الثاني اسمه «الحياة».

من المؤسف يجب القول، أن الشاكلة الذهنية لمخاطبي القرآن و الذهنية المسبقة الشائعة لهذا المفهوم لديهم، و النمطية القديمة و العتيدة لها هو منذ البدء و حتى اليوم تراث العلماء و حكماء الاسلام الذين قالوا «**الموت امر عدمي**» أي عندما لا توجد «الحياة» فهو الموت، فهذا الأمر دفع الآخرين للتشكيك في هذا التعبير الصريح و الحكيم و الملهم بالحكمة و في سياق «**الحصول**» على اجابة للتبريرات المقبولة و غير المقبولة و اللجوء الى «**التحميل**» للقرآن.

في بيان القرآن، بمنزلة المقارنة لهذين النمطين للحياة، النوع الاول، «الموت» ، هو الأصل و الأساس و الأرضية، و النوع الثاني،

«الحياة»، ناتجة عن حياة النوع الأول أي الموت. «**الموت» حياة عميق و متجذر و أصلي و أساسي** حيث احتوى «الحياة» في داخله و يقوم بتربيته و إنماءه و في وقته يظهره و يبديه. ما هو موجود أن «الموت» بالرغم من العمق و الأصالة النسبية، لا غوغائية و لا ظهور و بروز له و يتحرك «**بصمت و سكون**»، ولكن مؤثر و أساسي. بالعكس عندما تظهر الحياة من وجود الموت لها ظهور و بروز و صخب؛ غوغاء و صخب و حركة لا توجد بالطبع عند «الموت».

اذاً، **فطرة القرآن الالهية الانسانية** في الآيات القرآنية و تقريبا آية بين كل آيتين، بل في اماكن كثيرة من القرآن الكريم في نص الآية الواحدة فعّال بنمطيه. هذه الآية أفضل نموذج. الآية مشتملة على ثلاث نقاط حيث الاولى و الثلاثة تتحدث عن الله و الثانية فيما بينهما تتحدث عن الأنسان. الله خالق الكون و الوجود، «كل الوجود» قد «خلقه» من اجل الأنسان و الاسماء و الاوصاف الألهية في كل مكان في بيان القرآن تكون ذا معنى عند ارتباطها بالأنسان.

«**و هو العزيز الغفور**»: الله هو العزيز و الغفور، و غفور و عزيز و كل من هذين الوصفين الألاهيين و تركيبهما و تلفيقهما ببعضيهما البعض تكونا ذا معناً في آليه الاجواء المتعلقة بالله مع الأنسان وصلة الانسان بالله.

«**الذي خلق سبع سماواتٍ طباقاً...**» [١] ان خلق السموات السبع، طبقة على طبقة، بتلـك الدقة عديمة النظير و بترتيب منظم و نظام مستقر مدهش، كذلـك، مثل السماء ، سبعة طبقات من الأرض[٢]، خلق و استقر من أجل الانسان و للانسان و في هذه الآيات في اوائل سورة المُلـك تقدم في معرض دراسة و حكميت الأنسان.

من جانب، يتم التاكيد على مظاهر الربوبية لله سبحانه و من جانب آخر يتم التاكيد على مقر و مكانة الانسان في هذا الارتباط: «**ليبلوكم ايّكم أحسن عملاً**».

بالتدريج و رويداً رويدا، مسار تبيين الآيات تلتحم بعرض النماذج و بمقارنة نوعين هما الانسان الكافر و المؤمن مع بعضهما البعض و دراستهما.

في تعبير «**و للّذين كفروا بربّهم**»[٣] يتم تقديم خلفية «**واعتدنا لهم عذاب السعير**» من الآية السابقة و يتم توصيف عذاب السعير و عذاب جهنم (لاحظوا بدقة).

الاكثر مشاهدة من كل هذا، شبه جملة «**بربّهم**» التي بكل صراحة و بعيداً عن أي شبهة لما هم «الذين كفروا» تاتي في النص الدقيق و البديع للقرآن. تعبير يعادل «ربّ الكافرين!»، «ربّ الذين كفروا!»

١. سورة الملک، الآية ٣
٢. سورة نساء قصرى، آيه ١٢:«**الله الذى خلق سبع سماوات و من الارض مثلهن**»
٣. سورة المُلك، الآية ٦

يعني، ان رب الانسان ليس فقط «ربّ» الثلة المنتخبة من العباد ممن هم أهل الايمان و الخشية ازاء ربهم! (لاحظوا بدقة اكبر).

إن «الانسان» حتى ولو أبدى المخالفة مع ربه و حتى ولو نادى بالقول «**انا ربّكم الاعلى**»، فهو كما كان سيظل من الله و تحت تصرفه، و الله صاحب كلام القرآن بمثل هذا المنظار تجاهه يتحدث عنه: كما أمر موسى كليمه بالقول «**اذهب الى فرعون انّه طغى. فقل هل لـك الى أن تزكّى. واهديـك الى ربّـك فتخشى**»[1] .

تعبير «**ربّـك**» ملفت للانتباه جداً. تعبير يعادل «ربّ فرعون!» (دققوا اكثر).

اساس القرآن في ظل **فطرته الالهية الانسانية** هو دوماً بصدد الاتيان بأقوال الأنسان و مالم يقله بالتفصيل في «**كتاب الله**» و يطرح الافعال و ما لم يفعله الانسان في نص «**كلام الله**» . بناءاً على **ذلـك القرآن كتاب الله و الانسان**.

من منظار آخر، اذا نظرنا جيداً، يتم في النصف الاول من سورة المُلـك إبراز «قصة»؛ و هي قصه سارية و جارية و دوماً في طور التكرار حيث تحدث في قلب جهنم. **الله «يتبادل الكلام» مع الانسان** و من قريب يطرح «معه» هذا الموضوع الاساسي و المصيري و المتكرر في نص القرآن. نص تلـك «**القصة القصيرة**» كالآتي: «... **كلما القي فيها**

١. سورة النازعات، الآيات ١٧ الى ١٩

فوج سألهم خزنتها ألم ياتكم نذير. قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذّبنا و قلنا ما نزّل الله من شيء ان أنتم الّا في ضلال كبير. و قالوا لو كنّا نسمع او نعقل ما كنّا في اصحاب السعير. فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير»[١].

النصف الاول من سورة المُلـك ينتهي بهاتين الآيتين: «**و اسرّوا قولكم أو اجهروا به انّه عليم بذات الصدور. الا يعلم من خلق و هو اللطيف الخبير**»[٢]. هنا يتم التاكيد الصريح على ان الله هو خالق الأنسان و يطرح مرة أخرى وصفين آخرين من الاوصاف الالهية في صلب هذا التحاور و هما: **لطيف و خبير**. لطيف و هو خبير و خبير و هو لطيف. و مع الأخذ بعين الاعتبار خلفية الكلام، العزيز الغفور هو اللطيف الخبير، و اللطيف الخبير هو العزيز الغفور.

النصف الثاني من السورة، مثل نصف من حجم آيات سورة ياسين، يقوم بشكل آخر ببيان و تبيين الاعمال المدهشة التي قام بها الله للانسان و من أجل الانسان، و كذلـك الاعمال و الاداء و الاقوال و السلوكيات الجحودية و عدم امتنان الانسان ازاء تلـك الاعمال الخارقة لله.

«**هو الذي جعل لكم الارض ذلولاً**». ان الله الذي خلق الأرض بهذه العظمة و الوسعة و المكنة مثل جمل وديع لكم أي البشر («من

١. سورة المُلك، الآيات ٨ الى ١١
٢. سورة المُلك، الآيات ١٣ الى ١٤

أجل خاطركم أنتم» و باحترام و ود) حيث أن منخفضاته و مرتفعاته تذكّر بنفس تلـك الوركة المقاومة و التي تضرب بها الامثال للابل ذات السنام و السنامين و مثل الابل سريعة الخطى تحت تصرفكم. أمشوا في الأرض و أطوا منخفضات الأرض و مرتفعاتها و أطلبوا من رزق الله. **ذاك حصتي و هذا حصتـك**. لقد ذخرت لـك رزقـك في الأرض بوفرة الا أن السعي للوصول اليه و الحصول عليه وضعتها على عاتقـك كي نصبح معاً «**شركاء**» و «**زملاء في العمل**».

في نفس الوقت، و من ذلـك الجانب، كيف يمكنكم الاطمئنان أن رب السماوات، لا يرغم أرضكم أن يبلعكم في جوفه؛ بتمهيد زلزلة او دونها؟!.[1]

ياترى أنتم البشر كيف يمكنكم الاطمئنان أن الله سبحانه لا يمطر عليكم في الأرض حاصبا و عندها تدركوا كيف أن الله يذكّركم كل الاشياء التي نسيتموها دفعة واحدة؟![2]

في مضامين الآيات التالية، يريد الله أن يقول «**أن أذني مليئة من هذه الأقوال**». كل اولئـك الذين كانوا قبل «هؤلاء» (لايستمر بحالة الخطاب لانه يريد القاء كلام مر على عزيز خلقه) كذّبوا الانبياء و دحضوا رسالاتي؛ فانني أفهمتهم بصورة صحيحة و بدقة صائبة كيف يمكنني «التعامل» معهم، بالشكل الذي يدركوا أني لا أعرفهم بتاتاً، و

١. مضمون الآية ١٦، سورة المُلك
٢. مضمون الآية ١٧، سورة المُلك

ليس لي معهم أي صلة بعد الآن![1]

لماذا (كي يعودوا الى صوابهم) لا ينظرون الى الطيور التي تطير في السماء فوقهم كي يركزوا إهتمامهم لهذا الاعجاز الألاهي حيث أن الطيور لا تطبق أجنحتها دوماً كي تطير، و حتى في كثير من الاوقات تمدد أجنحتها من الجانبين و لا يصفق بجناحيه أصلاً و لكنها في حالة الطيران ولن تتوقف طيرانها و كذلك في الكثير من الاحيان تجمع جناحاتها كاملة و تظهر بشكل الاسماك، و لكنها تواصل أيضا طيرانها ولن ترتطم بالأرض.

ألا تسألوا أنفسكم و تجيبوا أنفسكم بأنه عدا الله الرحمان لايمكن قط ادارة و تدبير مثل هذا الوضع في جو السماء و أن يحفظ الطيور في مثل هذه الحالة بين السماء والأرض؟![2]

حقاً، اذا «أوقف» الله الرحمن رزقكم من السماء الى الأرض، من ذا الذي يريد في تلك الفترة من الامساك و توقيف الرزق السماوي، أن يوصل رزقكم اليكم من الأرض؟!

أم من ذا الذي راغب و قادر على أعانتكم اذا أمسك الله الرحمان يد الحماية و المساعدة و النصرة عنكم؟!

حقاً أن بني آدم لا يريدون التخلي عن عنادهم و النزول من اريكة

١. مضمون الآية ١٨، سورة المُلك
٢. مضمون الآية ١٩، سورة المُلك

التمرد و العصيان و مشهد الفرار و الاعتزال، حقاً ان غرور هؤلاء الكفرة **ممتهنين الكفر** لا حد لها ولا حصر[١].

«**أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمّ من يمشي سويّاً على صراط مستقيم**»[٢]. مرة أخرى يصبح لحن كلام الله عذباً و ودياً: أليس المضي على الصراط السوي (مثل آدم!) يوصلكم الى هدفكم بشكل أفضل؟ لماذا يا ترى يجب دوماً المضي قعوداً و قياماً و ترتطم رؤوسكم بالحجر؟! لماذا لا تبنوا قراركم على طي الصراط المستقيم بكل فخر و بمنتهى السلامة؟

ثم يخاطب صاحب القرآن الانسان المنتخب من قبله و يحب الآن ايصال رسالته الودية و العذبة عبر رسوله الكريم الى بني آدم الاعزاء لديه. «**قل هو الذي أنشأكم و جعل لكم السمع و الأبصار و الأفئدة قليلاً ما تشكرون**»[٣] قل لهم: إن الذي يخاطبكم هو نفس الذي خلقكم و جعل لكم الأذن و العين و العقل المفكّر و المدبّر و المحاسب؛ الا انكم قليلاً ما تشكرون.

«**قل هو الّذي ذرأكم في الأرض و اليه تحشرون**»[٤] نعم، قل لهم: هو نفس الرب الذي نشركم على الأرض و جعل حياتكم على وجه الأرض.

---

١. مضمون الآيتين٢٠ و ٢١، سورة المُلك
٢. سورة المُلك، الآية ٢٢
٣. سورة المُلك، الآية ٢٣
٤. سورة المُلك، الآية ٢٤

من ثم، ينهمـك ببيان «**قصة قصيرة**» أخرى. اجواء و طبيعة القصة يغيّر لحن الخطاب و يتمحور بصورة غيابية على رواية قصة متكررة خلال سنوات وقوع أحداث السيرة النبوية لاسيما العصر المكي.

هؤلاء كلما يرونـك او أتباعـك يكررون هذه المقولة بانتظام و يقولون: متى و كيف ستتم هذه الوعود و الوعيد؟ بالطبع إذا كنت صادقاً و لم تخدعنا بوعودك و وعيدك الكاذبة! أنت أيضاً تجيبهم بصلابة قاطعة و تقول: الله أعلم، و ما أنا إلا منذر و نذير، بالطبع عديم النظير و ممتاز و نموذجي، و هذه المنزلة السامية التي أحظى بها لا تتنافى مع عدم انتقال بعض الحالات الخاصة من علم الله لي.

أصل القصة هي أن هؤلاء كلما رأوا نبينا و يمرّون من جانبه و بالقرب منه تكفهر و تمتعض و تتقلص و تتلون وجهوهم و تُسمع هذا الضوضاء من جوانبهم و مع الاشارة الى شخصية سامية مثل «أنت» يقولون: هل هذا الذي كنتم تتحدثون عنه كل هذا و تقولون عنه؟! و أنت تجيبهم و تقول: اساساً افرضوا أن الله هلكني و من معي جميعاً، او شملنا جميعاً برحمته، ما الذي يحصل لكم و من ذا الذي يؤويكم و يقيكم من العذاب الأليم[1]؟ و أيضاً تجيب بقوة اكبر و تقول: «**قُل هو الرحمان آمنّا به و عليه توكّلنا فستعلمون من هو في ضلال مبين**»[2]. نحن عندنا ربنا الرحمان نؤمن به و نعتمد و نتوكل عليه تماماً، إلا أنكم

١. مضمون الآية ٢٨، سورة المُلك
٢. سورة المُلك، الآية ٢٩

ستدركون قريباً من ذا الذي هو في ضلال مبين؟ و قل لهم هذا أيضاً و اختم هذا الحديث غير المطلوب.

«**قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين**»[١] افرضوا أن مصادر المياه هذه التي تستفيدون منها دوماً تجف فجأةً و تهبط المياه لدرجة تخرج من متناول يدكم؛ في تلـك الحالة المتأزمة من ذا الذي يريد و يتمكن ان يحدث لكم عيناً متجذراً و من عمقها يجعل لكم تدفق المياه؟!

الهي، ربي، كم كان ملفت للنظر بغية تفهيم كامل لنظرة علم معرفة القرآن و أصالة «**فطرة القرآن الالهية الانسانية**»لو كنا نستطيع المرور في جميع نصوص القرآن سورة بسورة مثل هذا الذي حدث. على كل حال، لابد، كما كان اساس هذا البحث قد بُني من قبل على قاعدة الايجاز و الاختصار و تم ايضاح ذلـك، فان استمرار هذا المسار للبحث و التحليل و الاستقصاء و التحقيق في صراط مستقيم **للتدبّر في القرآن** سنحدده فقط بالسير و البحث المحدود في الاجواء القدسية و الملكوتية و البهيجة لثاني «**سورة تبارك**» في القرآن الكريم، الا و هو **سورة تبارك الفرقان**.

١. سورة المُلك، الآية ٣٠

الفصل الثالث

استمرار القول في سورة تبارك الفرقان

«**تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً**» بعبارة أخرى: تبارك [الله] الذي نزّل [القرآن الكريم و] الفرقان [العظيم] على عبده [المنتخب المنتجب المرتضى المجتبى المصطفى] ليكون [للناس جميعاً و] للعالَمين [كافّةً] نذيراً [و بشيراً].

فطرة القرآن الالهية الأنسانية حقاً غير قابلة للانكار، لدرجة أنه كراراً و تكراراً في سور القرآن المختلفة و في نص آية واحدة نلاحظ ان هذه الحصحصة في المحتوى و الفحوى و الوجهة و أتجاه كلام الله، محسوس و مشهود بين الله و الأنسان.

[تبارك] «**الذي له مُلـك السموات و الارض**»[1]. نفس تعبير بداية سورة المُلـك تكرر هنا أيضاً في بداية هذه السورة، و يتطرق في هذه

١. سورة الفرقان، الآية ٢

السورة بسرعة اكبر لشرح و بسط الاقاويل و الاداءات و آراء البشر. الله الذي خالق كل شيء لوحده و صانع شتى انواع المقادير و القياسات و البرامج الدقيقة في ورشة الخليقة، هو «لم يفكر» قط بان يكون له ولد، بدليل أنه لم يكن من المقرر في «مالـك المُلـك» الوجود أن يكون له شريـك. الا، ان هؤلاء البشر نظروا الى أنفسهم و من بين نفس مخلوقات الله الخالق الأحد، جعلوا لله و بجانب الله شركاء و آلهة أخرى الذين بالطبع لم يكونوا خالقى و صانعي شيئاً. آلهة لم تكن لها اختيار حتى على أنفسهم و لم يكونوا قادرين على ادارة حتى منافعهم و أضرارهم، و كذلـك الموت و الحياة و النشور لم تكن بايديهم و لن تكون[1].

كم ما حاكوا و قالوا.

قالوا: كل هذا الذي يدّعيه كذب مصطنع و لا اساس له من الصحة و لم يصنعه وحده فحسب بل أعانه على ذلـك جمع آخر. قالوا: هذه هي نفس أساطير الاولين التي استنسخها من تلـك المكتوبات و «يتلونها» و يقرأونها في الصباح و المساء[2].

قالوا و قالوا و قالوا! و الى اي حد ملفت للنظر و يستحق التأمل حيث كيف يؤثر **فطرة القرآن الالهية الانسانية** في كلام الله صاحب القرآن، لدرجة أنه في كلمات كلامه و آيات كتابه مراقب لرعاية سهم

١. مضمون الآيتين ٢و ٣ من سورة الفرقان
٢. مضمون الآيتين ٤و ٥ من سورة الفرقان

الانسان و درجات حضوره في النص و فحوا القرآن الى الحد الذي في كثير من اماكن القرآن، مثل سورة الفرقان هذه، حصة صاحب الكلام فيما يتعلق بالتحدث عن نفسه و الاتيان بكلامه، عملياً ربما تقدر بأقل من حصة الانسان (لاحظوا بدقة).

قالوا: أي «رسول» و نبي هذا حيث يأكل الطعام و يمشي في الاسواق و الدروب و يتجول هنا و هناك؟! لماذا لم يهبط ملك من السماء ليستقر الى جانبه كي يتعاون معه في رسالته و نبوته؟! او يلقي عند قدمه كنز عظيم من السماء، او لماذا لم يكن له جنة يرتزق من ثمراتها و محاصيلها و يعد و يؤمّن طعامه (وقوت و غذائنا)؟![1]

حتى قال هؤلاء الظالمين: أنتم لستم إلا قد إتبعتم رجلاً مسحوراً سحركم هذا «المسحور» بسحره![2]

الله سبحانه، عندما يصل الامر الى هنا و يتم نقل كل هذه الأقاويل المبالغ فيها للبشر في مخاطبة رسالة النبي الاكرم و الرسول الأعظم، يخاطب بكل ود و محبة شخص النبي و يصرح بحماس و شوق استثنائي هذه العبارة **أنظر كيف هم يضطربون و يلفقون الكلام من كل حدب وصوب و يأتون به و مآلاً يمسون مبهوتين و مندهشين و يظلون في المتاهات و الضلال المبين!**[3]

---

١. الآيتان ٧ و ٨ من سورة الفرقان؛ ايضاً، اشارة الى قراءة الكسائي المشهورة: «نأكُلُ منها»
٢. مضمون الآية ٨ من سورة الفرقان
٣. مضمون الآية ٩ سورة الفرقان

بلى، هؤلاء هم أنفسهم يعلمون جيداً أن هذه الأقاويل المجحفة ينطقون بها من منطلق الظلم و العدوان. يعلمون جيداً أن الله الغفور و الرحيم المطلع على جميع أسرار السماوات و الأرض و العالِم بكل ذلـك و أنه أنزل هذا **القرآن الفرقان** عليـك، لو أراد، لمهد لـك اكثر بكثير من بستان و بستانين مثل الجنة، و لأعدّ لـك الجنان و البساتين المماثلة تماماً للفردوس الأعلى حيث تجري الأنهار و الجداول من بين أشجارها و يكون لـك القصور الجميلة الباسقات في تلـك الجنان[١].

الكلام الأول و الأخير هو أن هؤلاء لا يريدون تصديق قيام الساعة و القيامة ولا يردون الأذعان بذلـك، نحن أيضاً أعددنا لمثل هؤلاء المكذبين نار جهنم الملتهبة و نجعلها حاضرة دوماً. نحن أعددنا نار جهنم يقظة لتسلـك نفس سلوك هؤلاء، حيث بمجرد أن تراهم من بعيد تسمع لها شهيقاً وزفيراً كى يسمعوا غيظ و غضب جهنم! نعم، عندما يلقون مصفدين في مضائق الجحيم بالسلاسل و الحديد، يتمنون الموت، يجب القول لهؤلاء أنكم اليوم لاتتمنوا موتاً واحداً، بل تمنوا لأنفسكم الكثير من الموت، بلى، قد أجيبت حاجتكم مسبقاً و الموت و الثبور المتكرر و المتعدد في طريقكم جاثية[٢].

من هنا فصاعداً، في آيات عدة، بالاشارة الى الفردوس الموعود للمتقين و الزاهدين و النعم التي يتمتعون بها، يتطرق مرة أخرى الى

---

١. مضمون الآية ١٠ سورة الفرقان

٢. مضمون الآيات ١١ الى ١٤ سورة الفرقان

مشاهد المحشر، و من ثم يعود لمواصلة مسار المواضيع السابقة. نعم، هو ما يقولون و صائب ما يقولون، أولئـك الرسل و المرسلين الذين سبقوك و قد بعثنا هم كلهم كانوا كذلـك، يأكلون الطعام و يمشون فى الدروب و الاسواق بين الناس. هذه كلها برامج اختبارنا. أنتم أيها الناس «نقيسكم» و نختبركم فيما بينكم. عسى إن شاء الله تطيقونها[١]!

على أية حال، ربـك، **رب محمد**، كم هو بصير و عليم و خبير. قالوا و من هناك هكذا قالوا بأنهم لا يؤمنون بالعودة الينا و سواء شاؤا أم أبوا سيلقون الله[٢].

قالوا، اساساً لماذا لا يبعث الله لهدايتنا و انذارنا الملائكة؟ و لماذا لا يمكن رؤية الله الذي من المقرر أن نعبده و يمسي ربنا؟![٣]

بعد ترسيم مشاهد أخرى من الحشر و النشر و القيامة[٤]؛ يواصل الله كلامه مخاطباً رسوله بالقول «**منذ الأزل كانت هكذا و ستظل الى الأبد هكذا**». جميع الأنبياء، أحيطوا بالمجرمين و المفسدين و الطاغين و الجبارين و عديمي الرحمة و المروئة. بالطبع **ربـك** أيضاً في خضم كل هذا يهديـك و يعينـك من جميع الجوانب![٥]

قالوا و بذكاء قالوا: لماذا لاينزل القرآن كله في آن واحد و نستكين

١. مضمون الآيااات ١٥ حتى ٢٠ من سورة الفرقان
٢. مضمون الآية ٢٠ من سورة الفرقان
٣. مضمون الآية ٢١ من سورة الفرقان
٤. سياق الآيات ٢٢ حتى ٣٠ من سورة الفرقان
٥. الآية ٣١ من سورة الفرقان

نحن أيضاً؟ اولاً بهذا النمط نثبت به دوماً فكرك و ذهنـك و عقلـك المتفكر و الحساس بنزول القرآن تدريجياً و لهذا السبب «**رتّلناه ترتيلاً**» أي: رسّلناه ترسيلاً، يعني نوصل اليـك تباعاً نداءات وحي القرآن، و ثانياً أردنا أن يواجهوا هؤلاء أحدهم تلو الآخر مسائلهم. و يأتوا اليـك و يطلبوا الحلول و نحن نبيّن لـك الموضوع مسهباً و نضع تحت تصرفـك **احسن‌تفسيرٍ** بشأن تلـك المواضيع المقترحة.

بعد ذلـك يوجه تحذيراً و تهديداً شديداً للكافرين الظلمة، و من بعد ذلـك يشير بشكل اجمالي الى قصة موسى و هارون، قوم نوح، عاد و ثمود و أصحاب الرّس و الكثير من الأقوام السالفين و يعود الى عصر رسالة النبي الخاتم و مخاطباً إياه بالقول: **هذه القصة في طور التكرار دوماً** حيث لا يكفون هؤلاء أينما يرونـك من الاستهزاء بـك و يقولون بكل صلافة و وقاحة: **أهذا الذي بعثه الله لاداء رسالته؟!** حقاً أنه لا يتهاون و يريد أن يصرف انتباهنا عن آلهتنا و يضلنا عن السبيل!![1]

يا نبينا الكريم، ما الذي تريد أن تفعله مع هؤلاء؟ أهل تعتقد أن بامكانـك ارغامهم على ما تريد؟ أحقاً، تعتقد أن هؤلاء لهم آذان صاغية و عقول واعية و أذهان فاعلة؟ كلا، لا أبداً . هؤلاء كالانعام، لدرجة أن المؤمل من الأنعام اكثر بكثير من هؤلاء[2].

١. مضمون الآية ٤٢ من سورة الفرقان
٢. مضمون الآية ٤٤ من سورة الفرقان

في عدة آيات تالية[١]، يتحدث رب الأنسان (ربّ الناس) ليس بالتفصيل، عن نفسه و عن الاعمال الخارقة التي بادر اليها في الأرض و في مشاهد حياة الانسان، للانسان و من أجل الانسان، و يعود مرة أخرى لبيان و تبيين الوحي و القرآن الذي هو أهم من كل شيء و يقول: «**و لقد صرّفناه بينهم ليذّكروا فأبى أكثر الناس الّا كُفوراً**»[٢] لا تخضع أنت لتاثير هؤلاء الكفرة ولا تكف عن الجهاد ازائهم، و ذلك هو «الجهاد الكبير» أيضاً.

بعد ذلك، عودة الى القضايا السابقة بتعابير حديثة، و معاتبة كثيرة للكافرين لكل ما يفعلوه!![٣]

«**و ما ارسلناك الّا مبشّراً و نذيرا**»[٤]. مرة أخرى، بعد كرات و مرات، يتحدث مع البشير و النذير و بهذه الطريقة يتجه صوب نوع من استخلاص النتائج و يذكّره أن مهمتك و التزامك الوحيد ازائنا بصفتك **رسولنا الكريم** هو أن تكون بشيراً و نذيراً و أن تؤدي هذين الامرين المهمين جداً على أفضل نحو ممكن. قل لهؤلاء أيضاً آخر كلام و أكد لهم بالقول أني لا أريد منكم أي أجر، بل أملي و توقعي منكم هو أن تفتحوا لأنفسكم سبيلاً نحو ربكم، لا عليك من عمل أي شخص شيء و

١. الآيات ٤٥ حتى ٤٩ من سورة الفرقان
٢. سورة الفرقان، الآيه ٤١
٣. مضمون الآيات الى حتى ٥٥ من سورة الفرقان
٤. سورة الفرقان، الآية ١٠٥

أعتمد و توكل على الله الحي الذي «لم ولن يموت»[١] و سبح بحمده. إن ربـك خبير و عليم بنقائص و سذاجة و عدم كفاءات و قدرات و معاصي و ذنوب عباده، بشكل كامل، و هذا يكفي.

مرة أخرى، يتحدث في بعض الآيات عن نفسه، الّا أنه يعود سريعاً لشرح و بسط اداء و اعمال و طبيعة سلوك البشر.

عندما يقال لهؤلاء اسجدوا لله الرحمان، يقولون: و «**ما**» الرحمان؟ ولا حتى «من هو»؟! و لا يكتفون بهذا و يقولون: هل أنت تتوقع منا أن نمتثل لاوامرك و أن نسجد للذي أنت تقول؟ حقاً، أنهم يسوؤن السلوك اكثر من ذي قبل![٢]

«**تبارك الذي جعل في السماء بُروجاً**»[٣]. مرة أخرى يتحدث الله صاحب القرآن في بعض الآيات عن نفسه و الاعمال الخارقة التي أداها في ورشة الوجود هذه حتى يصل الى ذكر أوصاف «**عباد الرحمان**». جميع البشر بل جميع الموجودات في عالم الوجود هم عباد الله، ولكن دوماً هناك ثلة، بالطبع ليست أيضاً قلة و محدودة، هم الخواص من عباد الله الذين يمتازون بصفات و ميزات خاصة قلما توجد هذه الصفات في سائر عباد الله[٤].

١. ذلك الذي لا يقبل التغيير هو أنت / و ذلك الذي لن و لم يمت هو أنت
كل الكائنات في ظل لوائك / نحن بك قائمين و أنت قائم بالذات
(النظامي الكنجوى، مخزن الاسرار)
٢. مضمون الآيات ٥٦ حتى ٦٠ من سورة الفرقان
٣. سورة تبارك، الآيه ٦١
٤. الآيات ٦١ حتى ٦٤ من سورة الفرقان

أخيراً، بعد طرح و شرح مفصل لاوصاف عباد الرحمان و الاستطراد المتداول في جميع أنحاء القرآن، في مطاوي ذكر مشروح لتلك الاوصاف، يصل الى الآية و العبارة النهائية التي هي في ظاهر العبارة بنحو ما كلام «مُر»، ولكن بعد قليل من التدبّر يتضح أن باطن لحن الكلام و مبناه ودّي و مشفق جداً. «**قُل ما يعبَؤا بكم ربّي لولا دُعاؤكم فقد كذّبتم فسوف يكون لزاما**»[1].

من هنا، من هذا الجانب ببداية القرآن و من ذلك الجانب الى نهاية القرآن، الى اي مكان نذهب و في اي سورة و اي مجموعة من الآيات نتفقد و نطوف بها، في كل مكان فان «هيمنة» و سيادة **فطرة القرآن الالهية الانسانية** سندركها بشكل مشهود و محسوس و «نؤمن» اكثر من ذى قبل أن «فطرة القرآن» ليس الاهياً محضاً و ليس انسانيا بشكل خاص، بل «الاهي انساني» بحصة متساوية و متكافئة، بحيث لا تغلب ايّ من الخصيصتين على الأخرى في أي نقطة من الخطوط العمودية و الأفقية في محور أحداثيات **نص القرآن العرشي و السماوي**.

نعم، بعد هذا الاستعراض البنائي و الموضوعي و المضموني في سورة تبارك الفرقان المباركة، دون استثناء، لو تطرقنا لاي سورة قصيرة و طويلة و متوسطة و مكية و مدنية في القرآن و تأملنا و تدبّرنا في مضامين و آيات تلك السورة بهذا الأسلوب، سنرى بوضوح في كل مكان نفس هذه «الطبيعة» و نفس هذه الفطرة و المنهج في كلام الله

١. سورة الفرقان، الآية ٧٧ (الاخيرة)

المُنزل للانسان و النازل على الانسان، بصورة فعالة و موّاجة في جميع أنحاء **نص القرآن السماوي الأرضي**، «**هذا بيانٌ للناس**»[١].

في هذا الكتاب، بغية مراعاة الاختصار، الذي كان الركن الركين و الاساسي في تصميم هذا الأثر، نكتفي بدراسة هيكلية و تحليل فحوى هذه السور الثلاث كنموذج و مثلما قالوا: «**من هنا و فيما بعد فهو عليكم**»[٢].

موسسه فرهنگی هنری کانون نشر و ترویج زبان قرآن

١. سورة ابراهيم، الآية ٥٢

٢. كلام تذكارى للعلامة الطباطبائي في لقاءه جمعاً من المدراء و المؤلفين و الباحثين في مكتب نشر ثقافة القرآن بقم المقدسة قبل سنة من استشهاده.